الشباب الراغبون بالزواج ومشكلة السكن

■ يكاد لا يخلو تصريح أي وزير أو مسؤول ضمن الحكومة السورية من دعوات للسوريين عامة وللشباب خاصة للعودة إلى البلاد، كما لا تخلو التصريحات من دعوات للتمسك بالأرض والصمود لمن بقي في الداخل. وبالطبع فإن هذه الدعوات هي دعوات مشروعة وواجبة وتصب ضمن المصلحة العليا للوطن في استعادة أبنائه وتثبيتهم. ولكن هل تكفي دعوات شكلية كهذه لإعادة من هُجِّر وهاجر؟! وهل تكفي للحفاظ على من بقي؟!

تفاصيل ص٢

الفساد ما بين الحاجة والثقافة

■ الفساد آفة أخلاقية واجتماعية خطيرة، تُهدّد المجتمعات البشرية كافة، ذلك أنها موجودة في مختلف هذه المجتمعات، وإن بنسب مختلفة. وانطلاقاً من هذا، ندرك أن تلك الآفة أكثر ما هي موجودة في بلدان العالم الثالث، التي تُعاني تخلفاً على مختلف المستويات، ممّا يؤدي حتماً إلى فساد متعدد الأوجه والغايات.

تفاصيل ص٦

بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيل فقيد الأدب حنا مينة

ص٥

الملف النووي الإيراني.. إلى أين؟

ص٧

النور

أسبوعية ـ سياسية ـ ثقافية
يصدرها الحزب الشيوعي السوري الموحد
www.alnnour.com

توقعات محصول القطن تصل إلى ١٢٤ ألف طن

■ أعلنت المؤسسة العامة لحلج وتسويق الأقطان استكمال استعداداتها لاستلام الأقطان للموسم الحالي من المزارعين والموردين في مراكز الاستلام والمحالج التابعة لها في محافظات حلب والحسكة ودير الزور وحماة والرقة. وأوضح المدير العام للمؤسسة أن توقعات وزارة الزراعة لكميات الأقطان للموسم الحالي تصل إلى ١٢٤ ألف طن حسب المساحات الفعلية المزروعة، وهي تكفي احتياجات المنتجين في القطاعين العام والخاص لمدة عام.

«التحالف» ينقل بمروحياته إرهابيي «داعش» من ريف دير الزور

■ قامت مروحيات تابعة لـ(التحالف الدولي) الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية بنقل عدد من إرهابيي تنظيم (داعش) من ريف دير الزور الجنوبي الشرقي. وذكرت مصادر أهلية وإعلامية أن طائرات تابعة لـ(التحالف الدولي) نفذت منذ أيام عملية إنزال جوي، نقلت خلالها عدداً من إرهابيي تنظيم (داعش) من جنسيات مختلفة قرب بلدة الشعفة، في الجيب الذي ينتشر فيه إرهابيو التنظيم التكفيري في ريف دير الزور الجنوبي الشرقي.

السنة الثامنة عشرة ـ العدد ٨٣٣ ـ الأربعاء ١٠ تشرين الأول ٢٠١٨ | ٨ صفحات | ٢٥ ليرة سورية | ANNOUR - Wednesday 10 October 2018 - No. 833

الذكرى الـ ٤٥ للمنعطف

تشرين.. يوم سقط الوهم

■ خمسة وأربعون عاماً مرّت على المنعطف الكبير الذي مثّلته حرب تشرين التحريرية، التي أسفرت عن سقوط أوهام وإظهار حقائق كانت في البال، تنتظر شحذ الإرادات، وصدق النوايا، ونبل المقاصد.

نجاحات جيشنا السوري في تلك الحرب، مهّدت لها حزمة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى الإرادة الفولاذية التي عبّر عنها رجال قواتنا المسلحة، غير عابئين بمحاولات التيئيس، بعد نكسة حزيران ١٩٦٧، ولا بغطرسة الكيان الصهيوني الذي صدّق زعماؤه ما أوهموا به كثيرين، أن جيشهم لا يُقهر!

على الصعيد السياسي كان لحشد القوى الوطنية والتقدمية ممثلة بأحزابها أهمية كبرى في جمع كلمة السوريين، في إطار تعددية سياسية أزاحت عوامل الفرقة والخلاف والتفرد.

وعلى الصعيد الاقتصادي كان قطاعنا العام يقود العملية الاقتصادية باقتدار دون أن يتفرّد بها، مما سهّل توفير مستلزمات الحرب، وجنّب المواطنين معاناة الحصول على مستلزماتهم المعيشية.

أما على الصعيد الاجتماعي فقد كانت جميع أطياف شعبنا الدينية والطائفية والإثنية متلاحمة، منسجمة، تقف وراء جيشها الوطني بهدف تحقيق النصر الذي طال انتظاره.

ولعب العامل الخارجي دوراً أساسياً، إضافة إلى العوامل الذاتية، وهذا ما عبّرت عنه أنذاك الصداقة السورية السوفيتية، التي أثمرت الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي، الذي ساعد على إحراز النصر.

لقد أظهرت حرب تشرين التحريرية أنه في المنعطفات الكبرى لا بديل عن جمع كلمة السوريين الذين وقفوا ضد الإرهاب التكفيري، والاستناد إلى القاعدة الشعبية الكبرى، والعمل على تلبية مصالحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا هو بالضبط ما تتطلبه المرحلة الراهنة التي تمر بها بلادنا

● التتمة ص٧

الرئيس الأسد: اتفاق إدلب مؤقت وحقق للدولة العديد من المكاسب الميدانية

■ عقدت اللجنة المركزية لحزب البعث العربي الاشتراكي يوم الأحد ٢٠١٨/١٠/٧، اجتماعاً برئاسة الأمين القطري للحزب السيد الرئيس بشار الأسد.

وقدم الرئيس الأسد عرضاً لآخر مستجدات الأوضاع السياسية والميدانية، أكد فيه أن ما يجري في سورية لا يمكن فصله عما يتم تداوله بكثرة مؤخراً حول ما يسمى (صفقة القرن)، موضحاً أن هذا الأمر قديم قدم القضية الفلسطينية، ولكنه تسارع مؤخراً بغية الاستفادة من خروج العديد من الدول من المواجهة مع العدو الإسرائيلي.

وأضاف الرئيس الأسد أن ما شهدناه مؤخراً

● التتمة ص٧

الافتتاحية

حول مرسوم وزارة الأوقاف

خطوة إلى الأمام.. خطوات إلى الوراء!

■ بعد أن خاض شعبنا حرباً ضروساً ضد أعتى المجموعات الإرهابية التكفيرية المسلحة، من داعش والنصرة وغيرها والقوى الإقليمية والدولية الداعمة لها، وحقق الانتصارات الكبيرة ضد هذه القوى، بفضل صموده وتضحياته الجسام وبسالة جيشه ودعم حلفائه، وفي الوقت الذي يطمح فيه إلى عودة الأمن والأمان إلى ربوع الوطن الواحد الموحد أرضاً وشعباً، وإلى بناء دولته المدنية الديمقراطية والعلمانية القائمة على أسس المواطنة والمساواة وحقوق الإنسان، وفي الوقت الذي نحن فيه بأمسّ الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى تمتين وحدة النسيج الوطني بتنوعه الديني والمذهبي والقومي، صدر بتاريخ ٢٠١٨/٩/٢٠ المرسوم التشريعي رقم ١٦ المتضمن مهام وزارة الأوقاف واختصاصاتها.

لقد تضمن المرسوم في تحديد مهام الوزارة أنها تتولى ممارسة الشؤون المتعلقة بالتوجيه والإرشاد الديني الإسلامي والأوقاف. وخصوصاً الإشراف على الأنشطة الدينية في الجمهورية العربية السورية ومتابعتها. وجاء من ضمن ذلك: (محاربة الفكر التكفيري المتطرف بتياراته ومشاربه كافة وفق ما يحدده المجلس العلمي الفقهي الأعلى في الوزارة، وحماية الوحدة الوطنية من مخاطر هذا الفكر وتجفيف منابعه، والمواجهة الفكرية لكل من يحمله، كالوهابية وتنظيم الإخوان وما يماثلها من الحركات والتنظيمات المتطرفة) (المادة ٢/د). وكذلك (محاربة التعصب والطائفية... والتأكيد على احترام الأديان الأخرى كافة، وإذكاء روح التجانس بين أبناء الوطن على اختلاف أديانهم ومذاهبهم) (المادة ٢/ز).

إلا أنه من الناحية الفعلية جاءت جميع نصوص المرسوم ومواده لتؤسس وتشرعن لإقامة دولة دينية داخل الدولة، فقد مُنحت الوزارة بموجبها هيكلية وصلاحيات واسعة وخطرة لا تتمتع بها أي وزارة أخرى من وزارات الدولة. وهي في كل ذلك لا تخضع لأي جهة رقابية أو سلطة تشريعية أو تنفيذية أو قضائية.

فللوزارة هيكلية خاصة تمتد من الوزير (ذي الصلاحيات المطلقة) إلى المديريات في المحافظات، إلى (شُعَب الأوقاف في المدن والبلدات والبلديات والمناطق والنواحي) التي تشكل بقرار من الوزير) (المادة ٩٧) إلى (لجان الأوقاف في الأحياء والقرى. تشكل من الوزير. تتولى الإشراف على حسن سير الشعائر الدينية في نطاق عملها الإداري)!! (المادة ١٠٠). ومن الواضح أن (حسن سير الشعائر الدينية) مفهوم واسع فضفاض يمكن أن يشمل كل ما يتعلق بممارسات المواطن في حياته اليومية!

كما منحت الوزارة الحق في تشكيل تنظيم (ديني شبابي) وآخر نسائي تحت تسمية (تمكين وتأهيل النسق الشاب من الأئمة والخطباء ومعلمات القرآن الكريم) (المادة ٢/ط).

ويتيح المرسوم للوزارة التدخل في جميع وسائل الإعلام

● التتمة ص٧

النور

النواب الشيوعيون في مجلس الشعب:

ملاقاة المعاناة المعيشية لشعبنا

■ عقد مجلس الشعب بتاريخ ٢٠١٨/١٠/٧ جلسة صباحية، خصص فيها حيزاً من الوقت لإحياء ذكرى حرب تشرين التحريرية، وقد ألقى الرفيق ملول الحسين كلمة باسم حزبنا الشيوعي السوري الموحد، هذا نصها:

السيد الرئيس!

السادة الزملاء والزميلات!

نحيي اليوم ذكرى حرب تشرين التحريرية ونحن على أعتاب الانتصار النهائي على الإرهاب وتحرير كل شبر من أرض الوطن وطرد الغزاة المحتلين الأمريكيين والأتراك العثمانيين ومن لفّ لفهم.

وها هم ضباط وجنود جيشنا البطل يسطرون ملاحم البطولة، مؤكدين أكثر من أي وقت مضى أن أروع إنجازات شعبنا وجيشنا في تاريخه الحديث سطرت في حرب تشرين، فقد كانت بطولات المقاتلين السوريين أقوى من آلة الحرب الإسرائيلية وحطمت الغرور الإسرائيلي وكسرت أسطورة الجيش الذي لا يُقهر.

لقد كانت معارك تشرين بحق شهادة شرف وفخر لقواتنا المسلحة ولشعبنا ومثالاً ساطعاً على انتصار إرادة الشعوب في مواجهة القوى التي تحتل أرضها وتحاول استباحة سيادتها.

ونقول وكلنا ثقة إن روح تشرين هي في قلب وروح ووجدان كل مقاتل سوري، لذا تسطر قواتنا الباسلة اليوم من جديد ملاحم البطولة ضد الغزاة الذين جاؤوا من

● التتمة ص٧

منظمة العاصمة تعقد مؤتمرها

■ عقدت منظمة دمشق للحزب الشيوعي السوري الموحد يوم السبت ٢٠١٨/١٠/٦ مؤتمرها الانتخابي الدوري، الذي يعقد كل عامين، وقد افتتح المؤتمر بالوقوف دقيقة صمت تقديراً لأرواح شهداء الوطن والإنسانية، متبوعاً بالنشيد العربي السوري.

جرى في المؤتمر مناقشة للتقرير المقدم حول عمل اللجنة المنطقية في الفترة السابقة وأغنى النقاش مداخلات الرفاق الحريصين دائماً على مصلحة الحزب وعلى توسعه بشكل مستمر، فاكتسب الرفاق الشباب خبرة ومعلومات من رفاقهم الأكبر سناً، وأعطوا دفعاً معنوياً لهم لأنهم باقون على العهد ومستمرون في صون الحزب وتطوير عمله.

انتهى المؤتمر بانتخاب لجنة منطقية جديدة لمنظمة دمشق، تميزت بنسبة تجديد جيدة وأقر المؤتمر خطة عمل وتوصيات للفترة القادمة.

حضر المؤتمر عدد من أعضاء المكتب السياسي للحزب، أغنوا المؤتمر بمشاركتهم ومداخلاتهم وتقديمهم لعرض سياسي حول آخر المستجدات داخلياً ودولياً.

احتفاء بذكرى حرب تشرين التحريرية...

مهرجان شعبي على مشارف الجولان

■ أحيا أبناء القنيطرة والجولان السوري المحتل يوم السبت ٢٠١٨/١٠/٦، الذكرى الـ ٤٥ لحرب تشرين التحريرية، في موقع عين التينة المشرف على بلدة مجدل شمس المحتلة، وأقاموا مهرجاناً خطابياً وشعبياً بهذه المناسبة، بعد انقطاع هذه الاحتفالات خلال الأعوام السابقة بسبب وجود الإرهابيين في المنطقة.

وجدد المشاركون في المهرجان، الذي أقامته محافظة القنيطرة وشارك فيه النازحون من أبناء الجولان الذين حضروا إلى عين التينة، ثقة السوريين بتحرير كامل الجولان المحتل ورفع العلم الوطني فوق ثراه الطاهر.

● التتمة ص٧

بوتين: لا يلوح في الأفق أي عمليات عسكرية واسعة في إدلب
كورتز: يجب سحب جميع القوات الأجنبية من سورية

■ أكد الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين)، أنه لا يلوح في الأفق تنفيذ أي عمليات عسكرية واسعة النطاق في إدلب، مشيراً إلى أن تركيا تطبّق التزاماتها الخاصة بتسوية الوضع في هذه المحافظة السورية.

وقال بوتين، في مؤتمر صحفي مشترك مع مستشار النمسا (سيباستيان كورتز)، عقب محادثات عقداها يوم الأربعاء ٢٠١٨/١٠/٣، في سان بطرسبورغ: (منطقة خفض التصعيد في إدلب نُقل إليها مسلحون من كل أنحاء سورية تقريباً، واحتشد هناك للأسف عدد كبير جداً من ممثلي الجماعات المتطرفة، مثل داعش وجبهة النصرة والتشكيلات المرتبطة معهما، وإننا نشاهد مواجهات بين هذه الأطراف داخل إدلب. لكن هذا ليس ما يقلقنا، ما يثير قلقنا هو تزايد عدد عمليات القصف في الآونة الأخيرة التي تستهدف البلدات والمدن السورية، وبضمن ذلك حلب، ثاني أكبر مدينة في البلاد، إلا أن قلقنا الأكبر نجم عن بدء تنفيذ محاولات منها لمهاجمة المواقع العسكرية الروسية في سورية، لا سيما مطار حميميم، بواسطة طائرات مسيرة تمثل خطراً على الرغم من أنها مصنوعة يدوياً. وكنا مضطرين لهذا السبب إلى الرد وشن ضربات على الأراضي التي نبع منها التهديد).

وتابع بوتين: (هذه القضية بالذات كانت في صلب محادثاتنا مع الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، خلال زيارة العمل الوجيزة التي قام بها إلى سوتشي مؤخراً، وخلال اللقاء مباشرة تشكلت فكرة إقامة منطقة منزوعة السلاح في إدلب بعمق ١٥-٢٠ كيلومتراً، لضمان مزيد من الأمن للمنشآت السورية المدنية والمدن والبلدات، وكذلك لقاعدتنا العسكرية في حميميم).

وأوضح بوتين أن الاتفاق، الذي تم التوصل إليه خلال محادثاته مع أردوغان، ينص على (إقامة منطقة خفض التصعيد المذكورة أعلاه بعمق ١٥-٢٠ كيلومتراً وهي يجب أن لا تحتضن أي جماعات متطرفة، ويضمنها جبهة النصرة، أو أيّة أسلحة ثقيلة، أيّاً تكن الجهة).

وأكد الرئيس الروسي في هذا السياق: (أود أن أبلغكم، ولقد تحدثت في هذا الأمر اليوم في موسكو، بأننا نعمل بتضامن مع شركائنا الأتراك، ونرى أنهم يتعاملون مع هذه الاتفاقات بأقصى درجات الجدية، ويطبقون مسؤولياتهم من الالتزامات ويساهمون في انسحاب مختلف الجماعات المتطرفة والأسلحة الثقيلة من هذه المنطقة).

ولفت بوتين إلى أن روسيا، تقوم بإنجاز قسمها من العمل الخاص بتسوية الوضع في إدلب، مبيناً: (إننا سنواصل سوية معهم العمليات التي تم تحديدها، بما في ذلك تنفيذ الدوريات المشتركة من قبل القوات المسلحة التركية والشرطة العسكرية الروسية).

● التتمة ص٧

الشباب الراغبون بالزواج ومشكلة السكن

■ يكاد لا يخلو تصريح أي وزير أو مسؤول ضمن الحكومة السورية من دعوات للسوريين عامة وللشباب خاصة للعودة إلى البلاد، كما لا تخلو التصريحات من دعوات للتمسك بالأرض والصمود لمن بقي في الداخل.

وبالطبع فإن هذه الدعوات هي دعوات مشروعة وواجبة وتصب ضمن المصلحة العليا للوطن في استعادة أبنائه وتثبيتهم.

ولكن هل تكفي دعوات شكلية كهذه لإعادة من هُجِّر وهاجر؟! وهل تكفي للحفاظ على من بقي؟!

إن هذه الدعوات وكما يقول المثل الشعبي (لا تطعم خبزاً)، فهي مجرد كلام مصفوف شكلياً، ولم تقترن فعلياً بأي قرار أو أي عمل حقيقي على أرض الواقع لإعادة الثقة الضائعة بين المواطن والحكومة.

ولعل الشرخ الأكبر في الثقة ناتج عن سوء الأوضاع المعيشية للمواطنين السوريين، بل ترديها، ووقوف الحكومة متفرجة، بل ومشاركة في كثير من الأحيان في زيادة الوضع المعيشي السيئ للشريحة المفقرة، وعدم تقديم أي حلول تعينها على بلائها من حرب قضت على آمالها في الحياة الكريمة التي يتمناها الإنسان، إضافة إلى وقوف الحكومة في كثير من الأحيان في صف المستغلين من تجار وأثرياء جدد يستبيحون ما يحلو لهم من قطاعات دون حسيب أو رقيب.

إن تردي الأوضاع الاقتصادية ينعكس على كل نواحي الحياة من مأكل ومشرب وملبس إلى التعليم والصحة وصولاً إلى السكن، هذه المشكلة القديمة الحديثة التي لم تغب عن الساحة السورية منذ عقود مضت، فهي ليست وليدة للوضع الحالي للبلاد، غير أن الأحداث الأخيرة قد فاقمت من حجمها.

فلطالما كان تأمين منزل صغير من أهم أحلام الشاب السوري، وعلى الرغم من أهمية السكن كعامل من عوامل الاستقرار للفرد والأسرة، وعلى الرغم من دوره في تحقيق التوازن والاستقرار للمجتمع، إلا أن هذا العامل لم ينل اهتماماً كافياً من الحكومات المتعاقبة على البلاد، فظل امتلاك السكن حلماً صعب المنال، ولم يُتعامل معه على أنه حق مشروع على الدولة أن تكفله لمواطنيها.

ثم أتت الأحداث وزادت الطين بلة، فالحلم الذي كان صعب المنال بات اليوم مستحيلاً حتى أن سقف طموحات المواطنين السوريين قد انخفض، فلم يعد أحد يبالغ في أحلامه الوردية بالتملك، واقتصر الحلم على إيجاد سكن بالأجرة بسعر مقبول.

ولكن حتى الإيجارات لم تعد مقبولة، فهي لا تتناسب أبداً مع دخل المواطنين المتدني، وفوق كل ذلك فإن عقود الإيجار تسجّل بمبالغ وهمية صغيرة غير تلك التي يتقاضاها مالك العقار، في سعي ناجح للتهرب الضريبي، أحد أهم أشكال الفساد في البلاد.

مشكلة السكن ليست محدودة بفئة الشباب الراغبين في الزواج وبناء أسرة فقط، بل يتعداها إلى ملايين السوريين الذي فقدوا منازلهم وممتلكاتهم خلال سنوات الأزمة السورية.

إن على الحكومة اليوم الخروج من قصرها العاجي والتواصل مع المواطنين، والعمل على إيجاد حلول حقيقية سريعة لمشاكلهم التي تتفاقم يوماً بعد يوم وخاصة فيما يتعلق بتأمين المأوى.

فإن كان الوزراء غير متضررين من هذا الموضوع باعتبار أنهم يحصلون على سكن مجاني في أجمل مناطق دمشق، فإن ذلك لا يعني وقوفهم متفرجين لا مبالين بهموم شعبهم الذي لربما ما يزال لديه شعاع أمل بحكومة لم تفده شيئاً حتى الآن.

وبالتأكيد فإن هناك الكثير من الحلول لمعالجة هذه المشكلة على الرغم من صعوبة الوضع الحالي للبلاد، ولكن الحل غير مستحيل، ونظراً لعدم قدرة معظم السوريين على شراء البيوت فقد يكون إنشاء مجمعات سكنية من قبل الدولة وتأجيرها بأسعار مدروسة ومراقبة تتناسب مع الدخل السيئ للأفراد، الذي تعرفه الحكومة حق المعرفة، قد يكون حلاً مقبولاً في الوقت الحالي.

ومما لا شك فيه فإن هناك الكثير من الوطنيين الشرفاء الذين يحاولون اقتراح حلول جيدة للكثير من المشاكل التي يعانيها المواطنون، ولكن باعتبار أن الحكومة قد أدارت أذنها الطرشاء دائماً باتجاه الشعب، فهي لن تسمع شيئاً ولن تصلها هذه المقترحات.والأجدر بها اليوم أن تركز اهتمامها في المشاكل الحقيقية للمواطنين السوريين، وتقدم حلولاً فعلية ملموسة، بدلاً من انشغالها بتشريعات من شأنها توسيع الهوة بينها وبين المواطن، وبين المواطنين أنفسهم من جهة ثانية، علها تجد في النهاية من يترحم عليها عند ذكرها يوماً في كتب التاريخ.

ديمة حسن

شجرة الزيتون في عين الحكومة!

■ عقد السيد عماد خميس رئيس الحكومة نهاية الأسبوع المنصرم اجتماعاً هاماً في مبنى محافظة طرطوس تمهيداً لوضع خطة متكاملة لتطوير واقع قطاع الزيتون في سورية من كل الجوانب وإقرارها والبدء بتنفيذها قبل العاشر من تشرين الثاني القادم.

ولهذا الغرض جرى تشكيل فريق عمل خلال هذا الاجتماع ووضعت الخطة المناسبة للتطوير وشدد على ضرورة التنفيذ لإنقاذ هذه الزراعة الاستراتيجية وشجرتها المقدسة.

وقد أشار بعض الحضور إلى ضرورة دعم الوحدات الإرشادية بالمهندسين والفنيين المؤهلين والآليات والدراجات وتفعيل عملها وتحسين علاقتها مع الفلاحين بما يعود بالخير على المزارع وهذه الزراعة، والإكثار من تنفيذ الطرق الزراعية والتشجيع على إحداث شركات في الريف لتقديم كل أنواع الخدمات للإخوة الفلاحين.

كما وجّه المهندس عماد خميس رئيس مجلس الوزراء بتشكيل فريق عمل في طرطوس يضم الفلاح والمزارع وصاحب المعصرة ومصدّر الزيت ورئيس مجلس الزيتون وزيت الزيتون ومدير الزراعة ورئيس اتحاد الفلاحين (بحدود عشرة أشخاص) مهمته دراسة واقع قطاع الزيتون في المحافظة بدءاً من الغراس والمشاتل مروراً بالزراعة والإنتاج والقطاف والإرشاد الزراعي والعصر والتخليل وليس انتهاء بحفظ الزيت وتسويقه داخلياً وتصدير فائضه للخارج. وطلب خميس أن ينجز الفريق عمله خلال فترة أقصاها نهاية الشهر الجاري، وأن يرفع (مذكرة خطية) لرئاسة الحكومة عن طريق المحافظة متضمنة مقترحاته لتطوير هذه الزراعة مع الآلية التنفيذية لكل مقترح والآليات التنفيذية للخطة بشكل عام.

ووعد خميس أن تدرس الحكومة هذه (المذكرة) مع مقترحات أخرى سترد من محافظات أخرى منتجة للزيتون ومن وزارة الزراعة ووزارة الاقتصاد وأن يجري في ضوء الدراسة إقرار خطة متكاملة في مجلس الوزراء قبل العاشر من الشهر القادم، لتطوير هذا القطاع مع القرارات اللازمة الملزمة لكل الجهات.

وجاء هذا التوجيه في ختام الاجتماع الذي ترأسه خميس في مبنى محافظة طرطوس بعد ظهر الجمعة في ختام زيارته للساحل على مدى ساعتين بحث واقع شجرة الزيتون وإنتاجها ومشكلات زراعتها وتسويق ثمارها وزيتها بحضور وزراء الأشغال العامة والإسكان والإدارة المحلية والبيئة والنقل والمحافظ وأمين الفرع وعدد من الفلاحين المنتجين وبعض أصحاب معاصر الزيتون وبعض المصدرين وعضو المكتب التنفيذي المختص ورئيس مجلس الزيتون وزيت الزيتون ومدير الزراعة.

وخلال الاجتماع وعد خميس بدراسة الأضرار التي تعرض لها موسم هذا العام بسبب ذبابة الثمار والظروف الجوية والتعويض على الفلاحين من صندوق التحقق من آثار الكوارث الطبيعية في حال الإمكانية.

يذكر أن طرطوس التي أنتجت العام الماضي بحدود ١٩٠ ألف طن ثمار زيتون لا تنتج هذا العام أكثر من ثلاثين ألف طن، وقد لحقت بالفلاحين أضرار كبيرة وخسائر جسيمة.

رمضان إبراهيم

صعوبات التعلم لدى الأطفال

■ يتعرض الأطفال لصعوبات تعليمية كثيرة تقف عائقاً أمام سير عملية تعليمهم بيسر وانتظام.

وغالباً ما كان الناس يرجعون إخفاق أطفالهم في التعليم أو تأخرهم مقارنةً بأقرانهم إلى أن نسبة ذكائهم أقل، ولكن مع تطور العلم اكتشف أن هناك قسماً من الأطفال يتمتعون بذكاء شديد ومواهب كبيرة، ولكنهم يعانون مشاكل في تعلم القراءة والكتابة والحساب. ويمكن تشخيص أي طفل يواجه مشكلة في تعلم هذه المجالات بأنه يعاني من صعوبات تعلم، وصار هذا المجال يعد من الاختصاصات الحديثة في مجال تربية الأطفال وتعليمهم. وما يجعل هذا الموضوع مطروقاً اليوم هو جهل بعض المدرسين والمدرسات في كيفية كشف أعراض صعوبات التعلم، وكيفية التعامل مع طفل يعاني من صعوبة التعلم وسبل علاجه منها.

ومن أهم الأمور التي يجب أن تؤخذ في عين الاعتبار أن صعوبات التعلم حالة يمكن علاجها، ولكن إذا أهملت قد تسبب تأخراً كبيراً بتعليم الطفل وربما قد يخرجه تماماً من نطاق التعلم لتراجع حالته وعدم متابعتها بالشكل الأمثل من قبل الأهل، مع العلم أن المدرسين في المدارس يلعبون دوراً كبيراً في كشف هذه الحالات ومساعدة الأهل على تقبل حالة طفلهم والعمل على علاجه. ولكن للأسف قد يصادف أن يكون الطفل في مدرسة يفتقر بعض معلميها للخبرة الكافية في التعامل مع الأطفال الذي يعانون من صعوبات تعلم ويعاملونه وكأنه طفل بليد ذهن وكسول، مما يضر بالطفل ويؤثر سلباً على حالته.

ففي إحدى المدارس الخاصة في الصف الثالث الابتدائي يوجد طفل صغير يعاني من صعوبات تعلم، فهو ما زال لا يستطيع الكتابة والقراءة بشكل جيد رغم أنه يحفظ دروسه بشكل مستمر ومنتظم ووالدته تتابعه باستمرار، رغم ذلك لم يستطع الطفل حصاد علامات جيدة في الاختبارات الكتابية مثلما يفعل في الشفهية، فبدأ تململ بعض المدرسات من الطفل ومن متابعته والاهتمام به أكثر للكشف عن مشكلته الحقيقية، بل اكتفوا بتأنيبه ولوم أسرته على عدم متابعة دروسه، حتى وصل الأمر بمدرسة اللغة الإنكليزية باتهام أم الطفل بالجهل باللغة الأجنبية، ولذلك السبب لا يجيد طفلها تعلم هذه اللغة، فالمدرسة بقلة خبرتها لم تع أن الطفل يعاني من صعوبة تعلم وذلك يدل على أن مدارسنا الخاصة والعامة على حد سواء تضم في داخلها بعض المعلمين والمعلمات غير المؤهلين للتعامل مع الأطفال وتعليمهم، حتى أنهم غير قادرين على إدراك وضعهم الخاص والتعامل معه لذلك كالو اتهامات الإخفاق للطفل وأهله.

ولحسن الحظ كان الأهل يتمتعون بالوعي الكافي لكشف المشكلة التي يعاني منها طفلهم، وسارعوا به إلى مركز متخصص بصعوبات التعلم، فجرى تشخيص حالته بالشكل الأمثل ومتابعته ومعالجة حالته بتمارين وتدريبات عملية تساعده على التعلم، وفي حالات نادرة قد يعطى الطفل نوعاً من الأدوية العلاجية دون التشكيك بمستوى ذكائه أو بمدى استيعابه، فهم على دراية كاملة بأنه مجرد حالة مرضية يمكن التخلص منها نهائياً إذا اكتشفت وعولجت بشكل مبكر.

ولكن يبقى السؤال هنا ما مدى خبرة الكوادر التعليمية لدينا؟ وهل هم بحاجة لإعادة صقل مهاراتهم وتأهيلهم من جديد لمعرفة ما إن كان لديهم ما يكفي من إمكانات تخولهم فهم مستوى وقدرة تلاميذهم بحيث يستطيعون تقييم قدراتهم الذهنية والمعرفية ومشكلاتهم الإدراكية ليكون لهم دور فاعل ومساعد للأهل ولمختص المعالجة، ففي المحصلة صعوبات التعلم بحاجة إلى دعم كبير ومتواصل من المعلم للتلميذ.

ولاء العنيد

تصحّـــر!

■ كنت أسمع من الأجداد والآباء مَثَلاً يقول: (عجاج الناصرية.. ولا ربيع الجولان!)، وللعلم، الناصرية هي قرية في محافظة ريف دمشق، تبعد نحو ٧٠ كم عن العاصمة دمشق، وهي محاذية لمنطقة كثبان رملية ناعمة، ونتيجة الجفاف الشديد والقاحل في تلك المنطقة، أصبحت الآن على تخوم البادية السورية، وإذا استمر زحف الصحراء على هذا النحو، فستصبح قريباً في وسط البادية. وبالعودة إلى المثل الذي ذكرته بداية، لم أجد تفسيراً له سوى أنه دعوة إلى حب الأرض والعمل فيها، والتمسك بها والعيش من خيراتها. فالعجاج في الناصرية قديم قدم الأزل، وأية هبة رياح في تلك المنطقة تحرك الرمال وينتشر الغبار ليصل إلى طبقات الجو العليا وعلى مساحات واسعة. وكثيراً ما تنعدم الرؤية، وفي بعض الأحيان تتعطل حركة السير والمواصلات بسبب ذلك، وعند ثورة الرياح في تلك المنطقة تشعر كأن الجنون أصابها حتى بات يطلق على منطقة من أراضيها: (المجنونة).. كفانا الله شر البلاء. سابقاً كان عجاج تلك (المجنونة) لا يؤثر كثيراً مثل اليوم، إذ كانت منطقة خضراء وفيها زراعات وبساتين وكروم وأشجار حور وغيرها من النباتات التي كانت تصد تلك الرمال أثناء ثورتها وتوقف زحفها. لكن بعد جفاف المياه السطحية في تلك المنطقة، بدأت الزراعات تتلاشى فيها شيئاً فشيئاً، وتحولت أراضيها الخصبة إلى قفار يابسة تعلوها الرمال، وكذلك طرقاتها الزراعية. وباتت حبات الرمل تصل مسرعة إلى بيوتها ومرافقها الخدمية ومدارسها، الأمر الذي بات ينغص العيش على سكانها.

وكثير من المزارعين تركوا مزارعهم وهجروا الفلاحة والزراعة منذ سنوات بسبب الجفاف من جهة، والرمال التي تخرّب المزروعات والمواسم من جهة أخرى. واليوم بدأت موجة الهجرة للبيوت والمساكن، إذ يغير كثيرون من أبنائها منازلهم ليسكنوا في مناطق ومدن أخرى بمنأى عن شر الغبار والعجاج.. وكل ما أخشاه مستقبلاً أن يترك الأهالي قريتهم وتتحول بذلك إلى قرية للرمال والأشباح!

فلكي لا نبكي على أطلال هذه القرية يوماً، أقول: على مجلس القرية الجديد وعلى الجهات المعنية بوزارات الإدارة المحلية والبيئة والزراعة والري ومحافظة ريف دمشق ومديرياتها ولجان مكافحة التصحر التابعة لها إعادة العمل بمشروع المحمية الزراعية وزراعة الأشجار الحراجية فيها من جديد، بعد أن عادت تلك المنطقة إلى سيطرة الدولة، والعمل على إقامة حزام أخضر من الأشجار الحراجية حول القرية، أو من الجهة الجنوبية للقرية، على طول المنطقة المحاذية للكثبان الرملية (المجنونة)، لصد الرياح المحملة بالغبار، ولوقف التصحر الزاحف يومياً إليها.

ومن الضروري توفير الدعم الكافي لمشروع محطة معالجة مياه الصرف الصحي المزمع إقامتها في تلك المنطقة منذ سنوات والسرعة في تنفيذه. وبذلك يمكن الاستفادة من المياه الناتجة في سقاية هذا الحزام، وفي إرواء زراعات أخرى، وكذلك الاستفادة من مياه مشتل الناصرية الزراعي.

وكذلك التفكير الجدي بوضع خطط ودراسات مستقبلية لجر المياه إليها من أنهار ومناطق أخرى، لإقامة مشاريع حيوية فيها تساهم في إعادة الغطاء النباتي والزراعة لآلاف الدونمات من الأ ٓراضي في تلك المنطقة، وفي وقف زحف الصحراء والبادية إليها، وتساهم أيضاً في تشجيع سكانها على الاستقرار والبقاء فيها.

محمود هلال
mah.hlal@gmail.com

المؤسسة العامة للتبغ.. الـربـح بـالمقـلـوب!

■ بدأت زراعة التبغ في سورية منذ نحو ٤ قرون عندما كانت خاضعة للاحتلال العثماني، وتشير المصادر إلى أنه في عام ١٥٩٠ سُمح للساحل السوري ولبنان بزراعة التبغ، وبعد فترة من انتشاره اشتهر التبغ المحلي عالمياً باسم التبغ اللاذقاني. في عام ١٦٥٦ أوقفت السلطات العثمانية زراعته حوالي عشرين عاماً قبل أن تعيد السماح بزراعته، لكن عبر ما سُمِّي وقتذاك: (إدارة حصر الدخان العثمانية) التي نظمت شؤون هذه الزراعة حتى عام ١٨٨٤، عندما تنازلت عنها لصالح امتياز استثماري لشركة فرنسية لمدة ٣٠ عاماً، ومع خروج العثمانيين حافظت الشركة المذكورة على هذا الامتياز حتى عام ١٩٢٩، حين أدخل الانتداب الفرنسي نظام (البندول)، وهو نظام يعتمد على استيفاء رسم حكومي مقابل المنتج، لكن هذا النظام لم يستمر طويلاً، ففي عام ١٩٣٥ أعادت فرنسا العمل بنظام الاحتكار وذلك بموجب القرار (رقم ٦ ل.ر) وسلمت تجارة التبغ إلى (الشركة اللبنانية السورية ذات المنفعة المشتركة لابتكار التبغ والتنباك) برأسمال قدره ١,٢٥ مليون ليرة لبنانية سورية، وهي شركة مساهمة محدودة بقيت مسؤولة عن هذه التجارة حتى عام ١٩٥١، عندما قامت الحكومة السورية في عهد الرئيس هاشم الأتاسي بتأميم الشركة وتتبيع ملكيتها للدولة. ومنذ هذا التاريخ توسعت المنطقة الجغرافية التي يُزرع فيها التبغ في سورية، وبلغت عام ٢٠٠٠ بحسب بيانات منظمة الصحة العالمية، حوالي ١٦٧٢٦ هكتاراً، منها ٩,٨ آلاف هكتار في الساحل السوري، بإنتاج قارب ٢٦١١٢ طناً متريّاً، أنتجت المنطقة الساحلية منه نحو ٤٥ ٪.

أشهر الأنواع التي تتم تُزرَع في سوريا نوع (أبو ريحة) المرغوب للتصدير، و(شك البنت) وهو نوع محلي يتميز بصغر حجم أوراقه، و(فرجينيا) وهو نوع أمريكي دخل منذ فترة ليست ببعيدة ضمن قائمة صنوف التبغ التي يُسمَح بزراعتها محلياً، ويتميز بورقه الكبير العريض وإنتاجه الغزير. ومن الجدير بالذكر أن عدد المدخنين في سورية يتراوح بحسب تقرير للمؤسسة العامة للتبغ بين ٤,٥ إلى ٥ ملايين مدخن، واستهلاك يومي للمادة يقدر بنحو ٥٠ طناً. وذكرت صحيفة (تشرين) الرسمية أن أرباح المؤسسة العامة للتبغ أو (الريجي) (بلغت خلال النصف الأول من عام ٢٠١٧ نحو ٩,٠٩٣ مليارات ليرة، وهو ما يفوق حصيلة أرباحها النهائية خلال العام الماضي والبالغة حوالي ٨,٠٦ مليارات ليرة). وكما يبدو هذه المؤسسة رابحة! لكن ماذا يعني أنها رابحة؟

في الحقيقة كانت هذه المؤسسة ومازالت تتحكم بمعيشة المزارعين الدراويش الملّاكين للأراضي الجبلية ضيقة المساحة والنائية، عبر يدها الطولى التي تسمى (إدارة حصر التبغ والتنباك) التي تحتكر وتشرف على تجارة التبوغ وصناعته وحتى تحديد نوع زراعتها. ويعاني مزارعو التبغ بشكل عام من ارتفاع مستلزمات الإنتاج، وبشكّل ارتفاع أجور العمال عبئاً إضافياً على تكاليف الإنتاج، ما يجعل أسعار بيع المحصول غير متناسبة مع مصاريف الإنتاج. ولكم أن تتصوروا معاناة أهل تلك المناطق الجبلية في زراعة هذه النبتة.

لا يمكن أبداً تخيل مدى عمليات التلاعب والهدر التي تحصل داخل كواليس هذه المؤسسة، بدءاً من تقييم (المراسل) حتى طرح المنتج في السوق، وجميعها على حساب عرق المزارع وجهده. ويكفي أن نشير هنا إلى أن سعر الطن المتري المُباع بعد التصنيع يبلغ خمسة عشر ضعفاً من سعر الطن الأولي والجاهز للتصنيع عند استلامه من المزارع، ونرى في الحياة ونلاحظ أن ثروة أحد مسؤولي هذه المؤسسة تعادل ثروة سكان قرية صغيرة تعيش على إنتاج التبغ! ثم يأتي الإعلام الرسمي، بتوجيه من الحكومة، ويقول إن المؤسسة العامة للتبغ هي مؤسسة رابحة؟!

صفوان داؤد

صرخة من حي التضامن بدمشق

■ هو أحد أحياء دمشق، يقع في جنوب العاصمة، تأسس عام ١٩٥٦ وأراضيه تابعة لبساتين الشاغور، يحدّه من الشمال حي الزاهرة، ومن الغرب مخيم اليرموك، ومن الجنوب بلدا، ومن الشرق سيدي مقداد وبيت سحم، معظم سكانه من كل المحافظات السورية ومن أبناء الطبقة الكادحة من عمال وفلاحين، وقد أسسوا حيّهم على حب العلم والتضامن فيما بينهم، ولذلك سمي بهذا الاسم فكان منهم القاضي والمحامي والمهندس والطبيب والمدرس والصحفي ...الخ، ومعظم سكانه من ذوي دخل محدود من موظفين وعسكريين.. وقد طال الحي في الفترات السابقة بعض الإهمال من الدوائر الحكومية بتقديم الخدمات أو بناء المدارس والحدائق وعدم تنظيم المنطقة، مما أدى إلى انتشار العشوائيات أسوة بكثير من أحياء دمشق التي تتجاوز ٧٠٪ من مساحة دمشق مع وجود بعض الخدمات كالماء والكهرباء والصرف الصحي والهاتف وضمن حدود. وفي سياق الأزمة التي مرت بها سورية من فوضى ومؤامرة اقتحم المسلحون هذا الحي الآمن المسالم، عام ٢٠١٢، وطردوا معظم أهله في القسم الجنوبي منه وأصبحت بيوت الحي عرضة للمعارك الحربية والنهب والتخريب، وصار أبناؤه عرضة للخطف والقتل، وانتشر أهل الحي الهاربين من جحيم المعارك في مدينة دمشق أو المناطق والمحافظات الأخرى، وتعرضوا لكثير من البؤس والشقاء والفقر والتهجير واستغلال تجار الحروب لهم، وقطنوا في منازل ذات أجرة عالية استنزفت مواردهم وأرزاقهم، وتعرضوا لضرر مادي ومعنوي كبيرين طيلة ست سنوات مرت وفي شهر أيار عام ٢٠١٨ قام الجيش العربي السوري بتحرير حي التضامن وإخراج المسلحين منه وتسلمت قوات الدفاع الوطني زمام الأمور وقد بدأ سكان هذا الحي بالدخول إليه للاطمئنان على منازلهم، وتبين أن هناك منازل سليمة بشكل كامل بحدود ٨٠٪ وأن المنازل المتضررة بحدود ٢٠٪ فقط إضافة إلى تضرر بسيط في البنى التحتية ويمكن إصلاحها، ووجود بعض الخنادق التي لا تؤثر على حالة الأبنية في حال عودة السكان.

ولوأن محافظة دمشق قامت بإزالة الأنقاض في حينه لاستطاع الأهالي العودة إلى منازلهم وحياتهم الطبيعية. وهنا بدأت المأساة الحقيقية لهؤلاء المساكين الذين تعرضوا للمماطلة في إجراءات عودتهم من الجهات الرسمية كمحافظة دمشق، وللنهب والسرقة والتعفيش لبيوتهم من قبل عصابات الفساد ورغم مناشدة الجهات الرسمية كافة بذلك إلا أنهم لم يلقوا الاستجابة لمطالبهم.

شكلت لجنة من محافظة دمشق لدراسة الوضع، فزارت المنطقة وتعرضت للتضليل من قبل بعض المستفيدين من عدم عودة الأهالي، رغم أن وفداً من سكان المنطقة اجتمع مع المحامي فيصل سرور رئيس اللجنة ووضعه بالصورة الحقيقية مرفقاً بالثبوتيات من صور وأرقام ووعدوا خيراً.

إلا أنه بتاريخ ٢٦/٩/٢٠١٨ صدر تقرير اللجنة المذكورة صادماً تنبعث منه رائحة العبث بحقوق المواطنين وأرزاقهم، فقد اعتبر التقرير أن ٩٠ ٪ من حي التضامن لا يصلح للسكن لدماره، وأن ١٠ ٪ فقط يمكن أن تسلّم لمالكيها، وحددت ٦٩٠ منزلاً فقط (من أصل أكثر من عشرين ألف منزل) وشمّعتها بالشمع الأحمر، علماً بأن هذه المنازل تقع في منطقة صغيرة محدودة على عقار مستملك أصلاً ولم يدخلها المسلحون وبقي معظم سكانها فيها، بينما السواد الأعظم من السكان (حوالي ٢٥٠٠٠) شخص رمي بهم على قارعة الرصيف بدم بارد لتزداد معاناتهم أكثر، فقد جاء القرار المذكور مجحفاً بحقوقهم معتمداً على أسس ومعلومات غير صحيحة تفتقد إلى أدنى حدود المصداقية، فضلاً عن تشكيل اللجنة الخاطئ، فلم يكن فيها ممثل واحد من أبناء المنطقة يعرف مناطقها ومنازلها وسكانها وحاجاتهم، رغم أن في مجلس المحافظة عضو من أبناء المنطقة، ورغم وجود لجنة حي من أهل التضامن، وقد جاء تشكيل اللجنة قاصراً مخالفاً لأبسط المعايير.

لقد جاء في متن القرار المذكور أن حي التضامن ستتم دراسة المخطط التنظيمي له عام ٢٠١٩، وستوضع خطة بناء خلال أربع أو خمس سنوات. وفي تصريح لرئيس اللجنة على الفضائية السورية أنه يمكن تنفيذ التنظيم خلال الخمسين سنة القادمة.

هذا التصريح يؤكد جهل هذه اللجنة، فكيف يبقى أكثر من ٢٥٠٠٠ مواطن كل هذه المدة خارج منازلهم التي قد يستفيد أحفادهم منها، إذا لم يحدث الاستيلاء عليها وفق ما يخطط له بعض الفاسدين.

هذه صرخة من حناجر هؤلاء المواطنين في وجه الظلم وضياع حقوقهم، يطالبون من الجهات المسؤولة استعادة حقوقهم بأسرع ما يمكن وتحقيق العدالة لهم وإنصافهم.

فهل من مجيب؟!

المحامي عثمان محمد العيسمي

** جريدة (النور)، إذ تنشر هذه الصرخة، تؤكد تضامنها مع أهالي حي التضامن ومطالبهم المشروعة.

النور
أسبوعية ـ سياسية ـ ثقافية
يصدرها الحزب الشيوعي السوري الموحد
أسست عام ١٩٥٥
أعيد إصدارها عام ٢٠٠١

المدير المسؤول: المحامي فؤاد البني
مدير التحرير: بشار المنيّر
المدير الفني: نصر الشيخ علي
مسؤولة العلاقات العامة: ريمان حداد

الجمهورية العربية السورية . دمشق
المزرعة. شارع عمر المختار
● هاتف ٣٣٢٤٩١٤ - ٣٣٤٢٥٧٢ - ٣٣٤٢٥٧٣
● فاكس ٣٣٤٢٥٧١ - ٤٤٢٢٣٨٣ ص.ب ٧٣٩٤
e-mail:annourscs@gmail.com
www.alnnour.com
■ للإعلان: الاتصال بالأرقام ٣٣٢٤٩١٤ - ٣٣٤٢٥٧٢ - ٣٣٤٢٥٧٣
■ الاشتراك السنوي: للأفراد ٢٠٠٠ ل.س للمؤسسات ٥٠٠٠ ل.س
■ للسفارات ٢٥٠٠٠ ل.س.
● في لبنان ٥٠ دولاراً أو ما يعادلها - باقي الدول العربية ١٠٠ دولار
● أوربا ٢٠٠ دولار - الأمريكيتين وباقي الدول ٣٠٠ دولار.
● تُقبل الاشتراكات التشجيعية من الأفراد والمؤسسات.

قول في الأمركة

■ يتذكر كبار السن من أهالي العراق، ومنهم أهالي بغداد بالذات، (مركز الشرق الأوسط الأمريكي) في بغداد، بالقرب من السفارة الأمريكية القديمة، ذلك المركز الذي كان ذراعاً دعائية للولايات المتحدة في العاصمة العراقية، والذي كان يستقطب أبناء الذوات من أصحاب الثروات، زد على ذلك أن مثل ذلك المركز وأمثاله تحولوا إلى فضائيات للإعلان عن بعثات ودورات متخصصة إلى الولايات المتحدة.

وبالمناسبة كان الاستعماريون البريطانيون في الهند قد عمدوا إلى تكوين طبقة خاصة أطلق عليها اسم (المتأنجلزين)، بمعنى نخبة من الشباب والشابات الهنود الذين اتبعوا دورات دراسية أو تدريبات في بريطانيا، ليعودوا إلى بلادهم بعد اكتسابهم عادات وطرائق تصرف تحاكي حياة البريطانيين.

وكان الهدف من ذلك تشكيل طبقة من الشباب من أجل كسب قلوب بقية الفئات الشابة، ومن ثم البرهنة على تفوق الحضارة البريطانية على الحضارة الهندية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

إن هذا النموذج البريطاني أوحى بـ(الأمركة) في هذه الأيام، وتعمل على هذه الفكرة مؤسسات تمولها الدولة والقطاعات الخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.

هنا يتذكر الجميع كيف كانت حكومة الولايات المتحدة تعمل بجد ونشاط على تكوين نخبة متأمركة في معظم دول العالم، وقد تجسد هذا العمل في المساعي لنشر وتعميم النموذج الأمريكي لحياة كلها لهو وملذات، على غرار فيلم (يا لها من حياة رائعة)، وقد سرقت هذه الموجة من الدعاية الموجهة والمبهرة ألباب ملايين الشباب والشابات في معظم الدول العربية والإسلامية، حتى ظهر نموذج من الشبيبة المتأمركة، بمعنى أن هؤلاء صاروا أمثولة تستحق المحاكاة من قبل أقرانهم الذين لم تتح لهم فرصة العيش في الولايات المتحدة الأمريكية لمدة طويلة على سبيل الدراسة أو اتباع دورات تدريبية، خاصة أنه قد تضاعف هذا التيار الثقافي الموجه إلى درجة إقدام الدوائر والمؤسسات الأمريكية المختصة على تأسيس برامج بعثات دراسية طويلة وقصيرة الأمد، إضافة إلى إحداث المزيد من المراكز الثقافية التي راح يرتادها أولاد وبنات الأغنياء والميسورين بعد أن تحولت إلى مراكز وفضائيات لعرض الأزياء والتباهي بنموذج الحياة الأمريكية الصاخبة بالملذات، وسبل الرفاهية، بما يملك الشاب من سيارات فارهة وزينة وسواهما من وسائل البذخ، ما يعكس الثروة الطائلة.

لكن هذه المراكز خفتت أصواتها بعد قيام الثورات والانقلابات في العديد من الدول العربية والإسلامية، لاسيما أن الانحياز الأمريكي الأعمى وغير المحدود لإسرائيل على حساب قضية الشعب العربي الفلسطيني العادلة، ساعد على إطلاق موجات العداء للولايات المتحدة الأمريكية، بل وتقويتها.

السؤال الذي يُطرح في هذا السياق: هل أقدمت الإدارات الأمريكية المتعاقبة على تغيير عاداتها وأساليبها في مجالات العمل على نشر نموذج الحياة الأمريكية وتكريسه بين الشعوب والدول العربية والإسلامية؟

الإجابة واضحة، أي لم تبدل شيئاً، بل مضت على طريق تأسيس جمعيات وروابط خاصة بالمتأمركين تستقطب الشباب والشابات العرب والمسلمين، بما يساعد على تشكيل تيار ثقافي مهووس بمظاهر الحياة الأمريكية وأشكالها وأهمية الاهتمام بها باعتبارها نموذجاً متفوقاً على غيره من نماذج معيشة الدول والشعوب الأخرى قاطبة، وكأن الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية هي بمثابة جواز سفر لعالم النجاح في الحياة.

ختاماً، نعود للقول بل للتحذير من أساليب الأمركة هذه التي تستهدف فئة الشباب قبل كل شيء من أجل ترويضهم أو أدلجتهم، إن صح التعبير، ليكونوا أدوات بيد الإدارة الأمريكية ينفذون ما تريده لحماية مصالحها هنا وهناك، علماً بأن عمليات الترويض والأدلجة هذه تجري تحت يافطات وذرائع خادعة.

د. صياح عزام

المتاجرون بالبشر.. حرّاس الإمبريالية

■ تعود جذور الليبرالية كفلسفة وحركة سياسية إلى عصر الأنوار، مؤسسها الفيلسوف الإنكليزي جون لوك (١٦٣٢–١٧٠٤) وهو أحد كبار تجار العبيد في التاريخ، ولعبت علاقته باللورد أنتوني آشلي كوبر، الذي كان ممثلاً للمصالح السياسية لرؤوس الأموال في لندن دوراً كبيراً في نظرياته السياسية.

ظهرت فلسفة جون لوك أثناء الحرب بين الملك (كممثل للأرستقراطية التي عملت على الحفاظ على وضعها المتميز ومكتسباتها الوراثية)، والبرلمان (كممثل للبرجوازية الصاعدة كطبقة من التجار ورجال المال والأعمال والصناعة)، لتحافظ على توازن واستقرار المجتمع الإنكليزي، عن طريق الجمع بين حق الملكية والحقوق المكتسبة حديثاً للبرجوازية، والمحافظة على أملاك كل الطبقات وعلى الإيمان الديني من جهة واعتماد العقل حكماً في شؤون الحياة من جهة ثانية.

الليبرالية من الأساس إيديولوجية غير إنسانية خاصة بطبقة الأغنياء، ومن أجل مصالحهم تشدد على أن لكل إنسان الحق في الحياة والحرية والتملك، وتتمسك بمبدأ السوق الحر والحقوق المدنية والعلمانية والديمقراطية وحرية التعبير والصحافة والحرية الدينية، لكن الاقتصادي جون مينارد كينز (١٨٨٣–١٩٤٦) الذي ركزت نظريته على دور كلا القطاعين العام والخاص ناقض مبدأ السوق الحر، وشكلت نظريته نقلة في مسار تطور الليبرالية نحو ليبرالية اجتماعية تقوم على مبدأ المساواة بالتوفيق بين حقوق الفرد والجماعة، والسماح بتدخل الدولة في حدود معينة لتحقيق العدالة الاجتماعية.

اعتمدت حكومات الغرب هذا الطابع الاجتماعي، وبالمقارنة بين وضعية شعوبها ووضعية شعوب المنظومة الاشتراكية بعد الحرب العالمية الثانية يستطيع المرء أن يفهم العوامل الأساسية المتراكمة التي أدت إلى انهيار المنظومة الاشتراكية من جهة، ومن جهة ثانية الفراغ الكبير الذي تركه الانهيار، فقد أزال أكبر عائق أمام الجموح الاقتصادي المتوحش، إذ سرعان ما كشرت الليبرالية الجديدة عن أنيابها معيدة قيمها الكلاسيكية، وأصبحت رمزاً للتوسع الاستعماري الجديد والهيمنة الأمريكية على العالم.

يرى الليبراليون الجدد في المنظر الاقتصادي النمساوي (فريديريك فون هاييك ١٨٩٩–١٩٩٢) الأب الروحي لهم الذي كان وراء التحول من السياسات الكينزية نحو السوق الحر ورفض تدخل الدولة، رأسمالية مطلقة بلا قيد ولا شرط ولا رقيب على نهبها ولصوصيتها، فالسوق من وجهة نظرها يتعارض مع الدولة ويتمتع بكفاءة تخوله الحلول محلها، وهو بحاجة إلى جمهور من المستهلكين غير المدركين لوضعيتهم كطبقة تتعرض للنهب المقونن، غير مؤمنين بالمساواة، يتحملون وحدهم تبعات تكاسلهم وفشلهم في التمايز والوصول إلى مرتبة النخب الاقتصادية. ولحشد مثل هذا الجمهور لا بد من غسل دماغه بقيم تغطي فداحة استغلاله الفظ. ولا تشكل القيم الليبرالية المشار إليها سابقاً شيئاً يزيد عن حدود هذا الغطاء بما في ذلك التركيز على الحقوق المدنية وحرية الأفراد، فهي مجرد رشوة فكرية لهدف نفعي.

الكاتب يوسف عبدالله محمود نقل في مقالته (هؤلاء هم الليبراليون الجدد) في صحيفة (الرأي)، من كتاب (بعيداً عن اليسار واليمين) للكاتب أنطوني جيدنز (المعلم الروحي لطوني بلير رئيس وزراء بريطانيا السابق، ومستشار الرئيس كلينتون، ترجمة شوقي جلال)، نقل كلام مارغريت تاتشر كناطقة باسم الليبراليين الجدد ص ٣٩: (الناس غير متساوين بالطبيعة، لا فضل للضعفاء ذوي الحظ السيئ، فإن ما يصيبهم يستحقونه لأنه خطؤهم وليس خطأ المجتمع). وأشار إلى أن جيدنز في كتابه يستخدم هذا المحتوى الفكري نفسه، فينفي عن النظام الرأسمالي أية تهمة زاعماً أن الفقير عليه أن يلوم نفسه لأنه متعطل من تلقاء نفسه. ويتساءل كاتب المقال عن فكرة الرفاه الإيجابي المطروحة في الكتاب: (لا أعرف كيف يكون الرفاه إيجابياً دون حل مشكلة الفقر ودون القضاء على الاستغلال؟) وأضاف إن جيدنز منظر بارع للرأسمالية، فهو يجعل من العنف الاجتماعي في العالم نتيجة لصدام المصالح والصراع على السلطة، متجاهلاً أنه نتيجة لتجاهل المسحوقين الذين لا تتوفر لهم لقمة العيش.

إن الفرد الحر في مجتمع النيوليبرالية، مجتمع الفوارق الطبقية العميقة، هو المستهلك القادر على الشراء، أما غير القادر فيزدريه الليبراليون الجدد ويرمون به على هامش المجتمع ويتهمونه بالمسؤولية عن فقره، أي أنهم يتهمون ما يزيد على مليار شخص يعيشون تحت عتبة الفقر المدقع في العالم كنتيجة لسياسة تحرير رؤوس الأموال، بينما يتمتع ٢٢٠٨ مليارديراً، ٥٨٥ منهم في الولايات المتحدة وحدها، بثروات بلغت ٩,١ تريليونات دولار، حسب إحصائيات ٢٠١٨.

سياسة الليبراليين الجدد لم تقتصر على إفقار الأفراد، بل خلقت تقسيماً طبقياً جديداً للعالم: شمال يتمتع بالثروات المنهوبة من الجنوب المفقر، فحتى المواطن الغربي المستهلك القادر على الشراء غير مهتم اليوم بالطريقة التي جنيت بها الأموال التي تحقق له حضوراً مترفاً به من قبل المنظومة التي تحكمه حتى لو كانت هذه الأموال نتيجة للحروب على دول أخرى صغيرة ذات سيادة وقتل مئات الآلاف بل الملايين من أبنائها بحجج متعلقة بالقيم النيوليبرالية، فقد أصبح هذا المواطن المعزول قسراً عن العالم جزءاً من المنظومة غير الأخلاقية الحاكمة التي لا يقوى ولا يفكر بمواجهتها، في ظل انقباض وشلل القوى السياسية المناهضة الفعلية للعولمة وللسياسة الاستعمارية الجديدة، فيكتفي بالتمتع بالقدرة على العيش في المركز بشكل أفضل بكثير ممن يعيشون على الأطراف المتخلفة التابعة.

الليبراليون الجدد المتاجرون بالبشر وحراس الإمبريالية الرجعيون الذين حولوا عالمنا إلى ساحات حروب ومجازر لا تنتهي، منظرون عرب يجمّلون صورة الليبرالية الجديدة ويشيعون مقولات نهاية التاريخ وشيخوخة الماركسية أو موتها وما شابه من تضليل تردده وراءهم حفنة الملقنين من ناقصي المعرفة، لكن الحقيقة أسطع من أن تخفى وراء الحقائق المقلوبة، فالليبراليون الجدد هم من دمروا العراق وليبيا واليمن وسورية، وهم من يجتهدون في تصفية القضية الفلسطينية وإلغاء حق العودة، وهم من خلقوا الصراع المذهبي السني الشيعي في المنطقة الذي راح ضحيته مئات الآلاف من الضحايا، وهم الذين يساندون يهودية الدولة في الكيان الصهيوني ويساندون قوى ودول الرجعية العربية التي ليس في ذاكرتها التاريخية أدنى إشارة إلى الحقوق المدنية والحريات، دول تفرخ الفكر التكفيري وتنشر الإرهاب الدولي، وهم الذين يريدوننا أن نخون وطننا من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة، ونتحول إلى أتباع وعبيد جدد لنحظى بمكان في عالم يتحكمون بمفاصله، يمتصون دمه، وهو بالأصل عالمنا جميعاً ومن حقنا أن نعيش فيه بحرية وأمن وكرامة وعدالة.

بولس سركو

كي لا ننسى

فرج الموصللي
اسمه سيبقى في تراث الشيوعيين النضالي

في ١٨/٢/٢٠١٤ غيّب الموت أحد المناضلين الشجعان في حلب، الذي كان له تأثير كبير على تطور المنظمة الشيوعية فيها، وترك بصماته الواضحة على توجهاتها، الرامية إلى تعميق صلاتها بكادحي هذه المدينة التاريخية، والدفاع عن قضاياهم، وعن قضايا الوطن وازدهاره ومنعته، إنه المناضل فرج الله الموصللي، ابن مدينة حلب، الذي أبصر النور عام ١٩٣٣ في عائلة متنورة، وسورية ترزح آنذاك تحت الاحتلال الأجنبي.

ومنذ يفاعته المبكرة تأثر بالأفكار الشيوعية التي تدعو إلى العدالة، وكان لشقيقه الأكبر جوزيف تأثير ملموس على توجهه ذاك. انتسب إلى صفوف الحزب الشيوعي السوري في أوائل خمسينيات القرن الماضي، ومنذ ذلك الوقت كرس الشاب فرج الله الموصللي حياته الواعية للنضال من أجل مستقبل مشرق للبلاد، ومن أجل كرامة المواطن وحريته، ومن أجل العدالة الاجتماعية، ولم يبخل بالجهد في تنفيذ كل المهام التي كلفه الحزب بها. عمل محامياً، ودافع بشجاعة عن مصالح الكادحين، ومارس نشاطاً واسعاً في صفوف الشباب من خلال قيادته لمنظمة اتحاد الشباب الديمقراطي، وساهم في بنائها وتحويلها إلى منظمة جماهيرية عميقة الجذور بين الكادحين الشباب والطلاب والمثقفين، وأصبح عضواً في المكتب التنفيذي لاتحاد الشباب الديمقراطي ما بين أعوام ١٩٦٨–١٩٧٢، ومثل الاتحاد في مؤتمر الشباب العالمي الذي عقد في مدينة هلسنكي عام ١٩٧١، خاض النضال ضد الديكتاتوريات دون تردد، ولم يتردد في ذلك مطلقاً، وعندما جرى الانقضاض على الديمقراطية الفتية في سورية من قبل أجهزة المباحث أثناء الوحدة السورية المصرية، لم يتردد كذلك في خوض النضال من أجل أن لا تفشل الوحدة، ومن أجل أن تستعيد ألقها.

لقد كانت حياة هذا المناضل مرتبطة ارتباطاً عميقاً بالناس، وفي أي موقع يستلمه، كان يقوم بواجبه بكل ما في هذه الكلمة من معنى.

في نقابة المحامين وفي مجلس فرعها كان موضع احترام ومحبة من جميع المحامين، وفي المكتب التنفيذي لمجلس مدينة حلب كما لم يبخل بجهده من أجل خدمة مواطني مدينته، وفي مجلس الشعب الذي انتخب إليه في الدور الذي امتد من عام ١٩٨٠ إلى ١٩٨٤، كان مدافعاً صلباً عن مطلب الجماهير الشعبية.

إن نضاله المتفاني، والتصاقه العميق بقضية الشيوعية والعدالة، جعلته ينتخب مرات عديدة إلى المراكز الحزبية القيادة لشيوعيي حلب، وإلى لجنة المراقبة في الحزب الشيوعي السوري، استمرت حتى عام ٢٠١٠.

تعرفت إليه أثناء عملنا المشترك بين الشباب عام ١٩٧٢، وقد كان متميزاً وحاضراً باستمرار في جميع الحوارات التي كانت تهدف إلى تطوير عمل الحزب بين هذه الشريحة الهامة التي يتعلق بها مصير أي حزب أو منظمة سياسية.. وكم كان يشدني إليه ذلك الفهم العميق لهذه المسألة، وتواضعه الجم وطموحه المستمر نحو الأفضل. كان ينظر بعيون الغد، رغم أنه كان يعرف أنه ربما لن يبصره، ولقد كان أيضاً مفعماً بالأمل بمستقبل الإنسانية المشرق، رغم كل الصعوبات والمعوقات التي تعترضه.

لقد غاب عنا هذا المناضل المتميز، المتفاني في العطاء، من أجل الوطن ومُثل العدالة، المتواضع، والمتنور، والشجاع، ولكنه ترك تراثاً حياً سيبقى في ذاكرة أجيال مدينته الشابة ورفاقه، يقتدى به دائماً وأبداً.

يونس صالح

بوغدانوف: هدف الاتفاق حول إدلب القضاء على الإرهابيين فيها

■ أكد مبعوث الرئيس الروسي الخاص إلى بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، نائب وزير الخارجية ميخائيل بوغدانوف أن الهدف الرئيسي من الاتفاق حول إدلب هو القضاء على بؤرة الإرهابيين فيها.

ونقل موقع (روسيا اليوم) عن بوغدانوف قوله في تصريحات على هامش المنتدى الدولي (حوار الحضارات) في موسكو: (إن اتفاق إدلب مؤقت وهدفه النهائي هو القضاء على بؤرة الإرهاب في سورية بشكل عام وفي منطقة إدلب على وجه الخصوص، والحفاظ على وحدة وسيادة الأراضي السورية).

وأضاف بوغدانوف: (إن الاتفاق يتضمن القضاء على الإرهابيين الذين يرفضون إلقاء السلاح في إدلب) مشيراً إلى أن بلاده تأمل في أن يتم تنفيذ هذا الاتفاق بحذافيره.

وكان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قال في تصريحات له الأسبوع الماضي إن بلاده تواصل العمل للقضاء على الإرهاب في سورية بهدف تحقيق الاستقرار فيها، ولهذا جاء اتفاق سوتشي حول إدلب، مبيناً أن موسكو تعمل بشكل نشط على تنفيذ هذا الاتفاق بالتنسيق مع الجانب التركي.

رأسمالية الأزمة: العالم غير صالح للحياة

■ صدرت أخيراً الترجمة العربية، لكتاب المنظّر اليساري الإنكليزي، كريس هارمان، (Zombie Capitalism: Global Crisis and the Relevance of Marx)، (ترجمة غادة طنطاوي، ومراجعة وائل جمال)، إلّا أنّ دار المرايا للإنتاج الثّقافي، ناشرة الطبعة العربية، اختارت تغيير عنوان الكتاب إلى (رأسمالية الأزمة: دراسة في الاقتصاد العالمي المعاصر).

إذ إن مفهوم (الزومبي: الميت الحي)، لا يستحوذ من كتاب هارمان، إلا صفحات عدّة، على الرغم من أنّه يشكّل الإطار النظري للكتاب كلّه.

يخبرنا الكاتب في مقدمته كيف أنه بعد أزمة ٢٠٠٨، بدأ الكلام عن (المصارف الموتى الأحياء)، أي مؤسسات مالية في حالة (غير فانية)، ولكنها غير قادرة على القيام بأي عمل إيجابي، بل تشكل خطراً على الجميع. ويذهب هارمانٌ هنا للقول إن الرأسمالية ككل، في القرن ٢١، هي بمثابة زومبي، من ناحية أنها (تبدو ميتة حينما يتعلق الأمر بإنجاز الأهداف الإنسانية، والاستجابة للمشاعر الإنسانية، ولكنها تظل قادرة على طفرات مفاجئة، في النشاط تسبب الفوضى هنا وهناك).

يحمل (الميت الحي) أو (الزومبي) دلالات أساسية لكيفية فهم ماركس للرأسمالية، إذ يقول في المجلد الثالث لرأس المال إنّه يجب ألّا يُصوّر الإنتاج الرأسمالي، وكأنّ هدفه الأساسي إنتاج السلع للاستهلاك، ولا إنتاج أدوات التمتع للرأسماليين، هدف الرأسمالية الوحيد هو استخراج فائض القيمة، وبالتّالي الاستمرار في النمو، وتوسيع حدود عالمها.

يرى ماركس الرأسمالية كما يرى هيغل الفكر، مستقلة بذاتها، وبأهدافها، لها منطقها الخاص الذي يتطلب وجود عمّال، بشراً كانوا أم غير ذلك، حتى أن ماركس يقول في الجرندريسه، أن وسائل العمل، بعد أن يتمّ تبنيها في عملية الإنتاج، تمرّ بتحولات عدة تنتهي في ذروتها إلى نظام آلي، هو بذروته يصبح أوتوماتيكياً، (قوى متحركة، تحرّك ذاتها)، وأسماه (الأوتوماتون)، وهو مؤلفٌ من أعضاء ميكانيكية، وفكرية متعددة، حيث ينتهي دور العمّال بأنهم ليسوا إلا (وصلات وعي) في الأوتوماتون.

عالم رأس المال ينقلب علينا

يتتبّع هارمان تطور مفهوم (الاغتراب) على أيدي فيورباخ وماركس، ويعدّه جوهر (زومبية) مفهوم الرأسمالية لدى ماركس.

فقد اعتبر فيورباخ في مؤلفه (جوهر المسيحية)، أن الله هو مفهوم صنعه الإنسان، ونسب إليه صفات وقدرات هي إنسانية في واقعها، جرّدها الإنسان، ووضعها في إله بعيد، ثم ألّف أديان، لتحدّد جميع تفاصيل حياته، وحدود معرفته، وبذلك، اغترب الإنسان عن جوهره وحقيقته.

أخذ ماركس مفهوم الاغتراب من فيورباخ، ولكنّه اعتبر أن الأخير لم يكن ماديّاً بما يكفي، ورأى أن الاغتراب لا يحصل على مستوى عملية تجريد، وإبعاد للجوهر الإنسانيّ نظرياً، بل عن طريق عملية إنتاج تجبرّ العامل على صرف طاقته في إنتاج سلع (غريبةٍ) عنه، قيمتها مرتبطة بالجهد الذي بذله مباشرةً، ولكنها في ذاتها، كمنتج، غريبةٌ عنه، مستقلة.

ويشير ماركس إلى أنه كلّما صبّ العامل ذاته في العمل أكثر، كلّما فقر (عالمه الداخلي)، أي كلّما أصبح مجرد وعاء طاقة إنتاجية ذي وعي.

ويقتبس هارمان منّ ماركس قوله في رأس المال: (إن سيطرة رأس المال على العامل، هي سيطرة الأشياء على الإنسان، سيطرة العمل الميت على العمل الحي)، وتذهب منتجات هذه العملية نحو هدف موحّد، هو مراكمة فائض القيمة، وتوسيع هذا الوحش الميت الحي، أي رأس المال، عالمه، وبالتالي، استقلاليته عن البشر.

هل يجب أن ننزعج من هذه الأشياء، التي تزيد من أرباحنا؟

لكنّه ليس مستقلاً تماماً، ذلك لأن طبيعة تقدمه مرتبطة بما يجنيه الرأسماليون، (الذي يعتبرهم ماركس في مرحلة ما، عبئاً على رأس المال) من أرباح.

وبعد أن يشرح هارمان نظريات ماركس، ويناقشها في إطار النظريات النقدية تجاهها، وفي إطار قصورها عن فكفكة بعد الظواهر، التي أتت بعد ماركس، يعود هارمان إلى موضوعه الأساسي، الاتجاه الذي تذهب فيه الرأسمالية اليوم، يقتبس هارمان من ماركس أن (رأس المال لا يكترث بصحة أو طول عمر العامل، إلّا إذا أجبره المجتمع على ذلك، ويردّ رأس المال على الاحتجاج على التحلّل الجسدي والعقلي، والموت المبكر، وعذاب الإفراط في العمل، بالقول: (هل يجب أن ننزعج من هذه الأشياء التي تزيد من أرباحنا؟).

الفرق بين رأس المال والرأسماليين

يعيد هارمان خفض ساعات العمل التي حاز عليها العمّال، على سبيل المثال، إلى السبب القانوني، أي التشريع من قبل الدولة، وقرار من الرأسماليين للتعامل مع ضغوط صراع تاريخي، بيّنهم وبين العمّال، أو لحل أزمة اقتصادية.

وبطبيعة الحال هذه هي الأسباب المباشرة لذلك، ولكن، كما يقول ماركس، إن (النظر إلى الأمور على نحو كلّي، يوضّح أن ذلك لا يعتمد على إرادة أفراد رأسماليين جيدين أو سيئين (...) بل على قوانين الإنتاج الرأسمالي، التي تواجه الفرد الرأسمالي، على أنها قوانين خارجية).

وعلى الرغم من ذلك لا يجري التفريق بين رأس المال في النظام الذي يمكن وصفه بالميت الحي، وبين الرأسماليين الذين يعدّون جزءاً من المجتمع، الذي يضغط على رأس المال في مقولة ماركس أعلاه.

في هذا الإطار، يعمل هارمان، في شرحه ومناقشته لأفكار ماركس، وكيفية استخدامها اليوم، ثم في نقاشه أزمة ٢٠٠٨، الدائر منذ نشر الكتاب عام ٢٠٠٩، الذي يحاول فيه، على عكس أغلب اليساريين، الحدّ من أهمية القطاع المالي في إحداث الأزمة، باعتباره لا يختلف عمّا يحصل في جوهر النظام.

معتبراً أن الأزمة هي نتيجة عولمة الرأسمالية، على نحو غير مسبوق، كما يؤكد أن تاريخ الرأسمالية حافل بالأزمات، ويضيف على المخاطر التي أنتجها التوسّع الرأسمالي، الأزمة البيئية، ويسهب في شرحها على نحوٍ تفصيلي.

وينتهي الكتاب بدعوى للثّورة والتّحذير من أنه في حال لم يتحقق ذلك، فإن العالم سوف يصبح غير صالحٍ للحياة لأغلب البشرية في العقود المقبلة.

في الخلاصة، فيما باتت الأمور، التي تطرّق لها هارمن في هذا الكتاب، موضع نقاش وأبحاث عديدة، ولكنّه لا يزال يشكّل مقدمةً جيدةً لنظريات مَاركس، وكيفية تعاطي الفكر الماركسي مع الأزمات الراهنة.

ناصر الأمين
الأخبار

(*) كريس هارمن، صحافي، وكاتب، وناشط سياسي إنكليزي، وعضو في اللجنة المركزية لحزب العمّال الاشتراكي. كان رئيس تحرير جريدة (Socialist Worker) ومجلة (International Socialism). وألف كتباً عدّة منها (أزمة الرأسمالية الجديدة: ماذا يقول الاشتراكيون؟) و(كيف تعمل الماركسية).

هـــذا مـا حـــدث

بشار المنيّر
basharmou@gmail.com

■ وجّه خبراء الاقتصاد في الولايات المتحدة رسالة إلى الرئيس والكونغرس، طالبوا فيها ترامب بعدم (الانحدار)، وبيّنوا فيها أن الاقتصاد الأمريكي في طريقه إلى الانهيار، وأكّد هؤلاء أنّ الحروب الاقتصادية، والحدّ من حريّة التجارة، سوف توجّهُ للاقتصاد الأمريكي ضربةً قاصمةً، بل، ومن الممكن أن تتسبب في أزمة اقتصادية طاحنة جديدة.

المشكلة الأساسية للوِّلايات المّتحدة، هي فقدانها القدرة على المنافسة، فالعالم تطوّر ويتطوّر، والتكنولوجيا تنتشر، ولم تعد الولايات المتحدة هي (ورشة العالم)، كما كان الحال عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، بل إنها لم تعد تنتج كي تعيش، على نفس المستوى الذي تعوّدت عليه في السابق.

لذا تسبّب فقدان القدرة على المنافسة، وانخفاض الإيرادات، في استمرار أزمة ديون الخزينة الحالية، فكان على الحكومة والعمالة الأمريكية، منذ سبعينات القرن الماضي، أن تقترض وترفع من مديونيّتها، من أجل أن تحافظ على مستوى المعيشة، في نفس الوقت الذي كانت المصانع والعمال فيه يهربون بالتدريج، إلى أسواقٍ أكثرَ منافسةً.

كما ألقى الخبراء الضوء على خطابٍ مماثل كان قد وُجّه للرئيس هيربرت كلارك هوفر، عام ١٩٣٠، لكنه تجاهله، فكانت النتيجة الكساد الكبير الذي عانت منه الولايات المتحدة الأمريكية، في ثلاثينات القرن الماضي.

لن نخوض في المبررات التي استند إليها هؤلاء الخبراء، لكننا نعرف تماماً أن الرأسمالية تتعرض (بسبب قوانين السوق الحر، والمزاحمة والاحتكار)، إلى أزمات دورية، تؤدي في نهاية المطاف إلى أضرار مخيفة، ومدمرّة، لا على الاقتصادات الرأسمالية فحسب، بل تحصد تداعياتها شعوب العالم، وخاصةً الفقيرة.

لقد تنبّأ كارل ماركس بحدوث الأزمات الدورية في النظام الرأسمالي، لكنه شكّك بانهياره، نتيجة لهذه الأزمات، وأوكل هذه المهمة إلى المتضررين من كوارث الرأسمالية، وفي مقدمتهم الطبقة العاملة.

ماذا حدث في ثلاثينيات القرن الماضي، وكيف اندلعت الأزمة الاقتصادية الكبرى، التي لعبت نتائجها دوراً رئيسياً في إعادة تشكيل أوربا ومناطق أخرى في العالم؟.

كانت نيويورك تستعدّ لمساء عادي، العمال والموظفون أنهوا يوم عمل آخر، المطاعم وأماكن اللهو تتهيّأ لفترة مسائية، مُشردو نيويورك اكتفوا من تجوالهم النّهاري، وتّقاطروا إلى سراديب الشوارع الكبرى لقضاء الليل، إلا أنّ (وول ستريت)، وقبل ساعة من إغلاق البورصة، كانت على موعد مع دقائقَ قاتلة قادت أميركا وأوربا والعالم بأسره، إلى أزمةً اقتصادية هي الأعنف منذ أن دكّت الصناعة قلاع الإقطاع، وتحوّلت الرأسمالية إلى تشكيلةٍ اجتماعيةٍ سيّدة.

لقد بدأت الكارثة مساء الثلاثاء ٢٢/١٠/١٩٢٩، في بورصة (وول ستريت)، بعرض فجائي، لكميات هائلة من الأسهم والسندات، وفي اليوم التالي عُرضَ ستة ملايين سند، في السوق، وفي يوم الخميس عرض ١٣ مليون سهم، فسيطر الخوف وعمّ الذعر، وبدأت الأسهم تفقد حتى نصف قيمتها في يومٍ واحد.

وقـــائـع

لقد تدخّل كبار أساطين المال (روكفلر - مورغان)، في محاولة منهم لإيقاف حركة البيع، لكنّ العرض توالى، والأسعار تقترب شيئاً فشيئاً من الانهيار الشامل، وفي ٢٩/١٠ بيع ١٦ مليون سهم، وبدأت أزمة اقتصادية كبرى، طالت تداعياتها العالم بأسره، لقد أفلس عشرة آلاف مصرف، وارتفعت الخسائر الصافية للشركات المساهمة الأمريكية إلى(٢١١٠) مليون دولار، وازدادت إلى حد مخيف نسبة البطالة في الشركات الصناعية الأمريكيّة، حيث انخفض عدد العمال من (٨٨٣٠٠٠٠) عام ١٩٢٩ إلى(٥٤٤١٠٠٠) عام ١٩٣٢.

لقد ساد هيجانٌ اجتماعيٌ لم تعرف أميركا مثيلاً له، ففي طبقات المجتمع المخمليّة ازدادت عمليات الانتحار، ولدى الشغّيلة كان الحصول على أيّ عمل، أو تأمين وجبة مجانية هدفاً صعب المنال.

انتقلت الأزمة إلى أوربا، ففي ألمانيا، أفلست (٤٥٠٠) شركة، وفقدت (١٥٩٠) شركة مساهمة، في الصناعة والمناجم (٩٨٣) مليون رايخمارك، وفي إنكلترا، هبط معدل الأرباح ٣٧٪ بين عامي ٢٩ -٢٣ ٩١، وفي ايطاليا كان ميزان (٢٧٩٧) شركة مساهمة سلبياً، أما اليابان فقد انخفض معدل الأرباح فيها بنسبة ٥٤٪، ولم تستطع الزراعة النجاة، فهبطت قيمة الإنتاج الزراعي في أغلب البلدان بنسبة ٥٠٪. (١).

الدولة تتدخّل

كان من المستحيل على الحكومات، أن تترك القوانين الشهيرة لليبرالية (دعه يعمل.. دعه يمر)، أن تنتج آثارها، فذلك يعني المزيد من المآسي، والفواجع الاقتصادية، والاجتماعية، ففي كل يوم إفلاساتٌ جديدةٌ، ومصانع كبرى تقفل أبوابها، وجيش العاطلين بدأ يتحرك مهدداً استقرار وهدوء النظام الاقتصادي برمته، فلجأت الحكومات إلى مجموعةٍ من التدابير الإسعافية أولاً، ثم تدخلت بشكل فعّال، أطاح إلى غير رجعةٍ بمبدأ حياديها، عبر حزمة إجراءاتٍ كان من أهمها:

١-إقراض الشركات الصناعيّة عبر مؤسسة (إعادة الهيكلة المالية)، بمبالغ كبيرة، وصلت إلى عشرة مليارات دولار، لدفع عملية إعادة الإنتاج.

٢-تحويل الدّين الخاص إلى عام، عن طريق شراء الأسهم في محاولة لرفع أسعارها، في مختلف النشاطات الاقتصاديّة الرئيسية كالصناعة، وسكك الحديد، والمصارف، وشركات التأمين.

٣-إغلاق الأسواق الوطنية، لمنع تدفّق السّلع الأجنبية، فنشأت حركة حماية لا مثيل لها، حيث صادق الكونغرس على التعّرفات الجمركية الجديدة، التي رفعت ما يقارب (٩٠٠) رسم جمركي، واتبعت الدول الأخرى السياسة نفسها، وارتفع في الدول الصناعية الكبرى، معدل الحماية الجمركية، من ٥٪ عام ٢٩ ٩ إلى ٢٣ ٪ عام ٩٣٦.

٤-إتلاف المخزون، عن طريق شراء الفائض من المنتجات المختلفة، للإقلال من العرض، وإبقاء الأسعار مرتفعةً، ومن ثمّ إتلافها، لتبدأ بعدها دورة جديدة، إنتاج، مخزون، شراء من قبل الدولة الإتلاف. (٢)

لقد نبّهت هذه الأزمة إلى ضرورة قيام اتّحادات صناعية متخصصة، لا تترك للمنتجين الأفراد حريةً التأثير في السوق، بشكل منفرد، حفاظاً على كميّات الإنتاج، ومستوى الأسعار، وشيئاً فشيئاً، أصبحت تلك الاتحادات تتحكّم بالصناعة الثّقيلة، والمتوسطة، ليس في أمريكا وحدها، بل في كافة الدول الأوربية، وقد شجعت الدول عملية الحصر هذه، خوفاً من أزمات جديدة، وبدأت سياسة توجيه الاقتصاد، وأعاد كبارُ الرأسماليين النظر بمفاهيم المذهب الحر، فالعفوية هنا تعني الهلاك، وأصبح مفهوم توجيه الاقتصاد مقبولاً لديهم، بل مطلوباً، طالما أنّ تدخّل الدولة سيعيد عجلة النظام الاقتصادي برمته، إلى الدوران، وهكذا بدأت إجراءاتٌ جديدةٌ، بمبادرةٍ من الدولة، إنها سياسة (الأشغال الكبرى)، حيث عمدت الولايات المتحدة، وأوربا، إلى إطلاق مشاريع عملاقة، لا يؤدي العمل فيها إلى زيادة العرض في السوّق، كشقّ الطرقات، وإقامة السدود، والجسور، وهكذا تنشّط الطّلب على مستلزمات الأعمال من جهة، وترسل إلى جيوب العمال كتلةٌ نقديةٌ، تعمل على زيادة الطلب على المنتجات الأساسية.

تلك كانت أهم الإجراءات التي قامت بها الدول، في مواجهة الأزمة الاقتصادية، ورغم نجاحها في التخفيف من آثار الانهيار، إلا أنّ إجراءً آخر كان يمثل الحلّ الأمثل في تلك الحقبة، إنها الصناعة الحربية، وزيادة نفقات التسلح، التي قادت بعد ذلك في كل من ألمانيا، وبريطانيا، والولايات المتحدة، إلى الحرب العالمية الثانية، التي أبادت البشر والحجر.

لقد تتالت بعد ذلك انهياراتٌ أخرى للبورصات العالمية، خلال سنوات القرن المنصرم، كان أبرزها: الاثنين الأسود ١٩ أكتوبر عام ٩٨٧، حين انهارت أسعار الأسهم، والسندات، في سوق نيويورك، فانخفض مؤشر (داو جونز) ٥٠٠ نقطة، وخسرت الأسهم ٢٢ ٪ من قيمتها، وانتقلت الأزمة إلى بقية الأسواق العالمية، مسببةً خسائرَ إجماليةً بلغت (٧٠٠) مليار دولا، ثم جاء دور (نمور آسيا)، في نهاية القرن الماضي، وأدت انهيارات أسواق المال في تلك الدول، إلى كوارثَ اقتصادية واجتماعية، وأخيراً وقع الانهيار الكبير في الولايات المّتحدة، في خريف ٢٠٠٧، الذي ما زال الاقتصاد العالمي يحصد تداعياته حتى اليوم.

basharmou@gmail.com

المراجـــع

- مجلة عصبة الأمم - الحالة الاقتصادية - عام ١٩٣٣.
- هنري كلود - من الأزمة الاقتصادية إلى الحرب العالمية الثانية - دار القلم ١٩٥٤.

المطلوب
بيئـة استثمـار حقيقيـة

■ فؤاد اللحام

■ ما يزال مشروع قانون الاستثمار الجديد قيد المناقشة واقتراحات التعديل، سواء من قبل الجهات الحكومية المعنية أو من المهتمين بهذا الموضوع من الباحثين والمختصين والمستثمرين. العديد من الملاحظات والخلافات في الرأي ما تزال تظهر بشكل متجدد مع كل نسخة جديدة من مسودة هذا المشروع. وهي بالتأكيد ملاحظات هامة وجوهرية، في مقدمتها تحديد تبعية هيئة الاستثمار التي تنقسم بين رئاسة مجلس الوزراء أو وزارة الدولة لشؤون الاستثمار أو وزارة الاقتصاد، وكذلك عضوية مجلس الاستثمار ومجلس إدارة هيئة الاستثمار، والتخفيضات الضريبية والحوافز الممنوحة للأنشطة الانتاجية والسياحية والضمانات وغيرها.

التعديلات الجديدة على مشروع قانون الاستثمار، وبضمنها الحوافز والإعفاءات، على الرغم من ضرورتها وأهميتها، ليست هي العنصر الضامن الوحيد والكافي لخلق البيئة المناسبة لجذب الاستثمارات، بل هي أحد عناصره ومكوناته. وتجربة السنوات الماضية سواء في تطبيق القانون رقم ١٠ السابق أو المرسوم رقم ٨ الحالي تؤكد، أن بيئة الاستثمار لا تختصر بالإعفاءات، بل هي حزمة متكاملة من المكونات ما زلنا نحاول توفيرها دون تحقيق المطلوب حتى الآن، وفي مقدمتها ما يلي:

١- إن تبسيط الإجراءات واختصار الفترة الزمنية التي تتطلبها عملية التشميل والترخيص والحصول على الموافقات العديدة التي تلي ذلك، لا تقل أهمية بالنسبة للمستثمر من الإعفاءات إن لم نقل بقدرها أو أكثر منها، والتي هي في بعض البلدان لا تتعدى العلم والخبر، وفي بعضها الآخر لا تتعدى الساعات أو بضعة أيام، بينما حددها المشروع بستين يوماً، ومن يدري هل يجري الالتزام فعلاً بهذه المدة أم لا؟ ذلك أنه من المعروف أن الفترة ما بين إنجاز دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع، ودخوله مرحلة الإنتاج تعتبر من أهم وأخطر مراحل تنفيذ المشروع بالنسبة للمستثمر، بسبب المخاطر التي يمكن أن تبرز خلال هذه الفترة مثل منافس جديد أو تبدلات في الأسواق أو ارتفاع في التكاليف اكبر مما هو موجود حالياً أو متوقع ... الخ. وذلك أن أي مستثمر يرغب في تنفيذ مشروعه ودخوله مرحلة الإنتاج في أقصر فترة ممكنة. وهذا الأمر لا يُحلّ فقط بإحداث النافذة الواحدة التي تشمل كل الجهات المعنية بالتشميل والترخيص، بل أيضاً بمستوى ممثلي هذه الجهات في هذه النافذة وصلاحياتهم وكفاءتهم، وينطبق ذلك أيضاً على الجهات الأخرى التي يبرز دورها بعد الحصول على قرار التشميل أو الترخيص.

٢- إن بيئة الاستثمار تتطلب ضمان توفير شروط النزاهة والشفافية، وإفساح المجال لمن يرغب في دخول المجال الاستثماري الذي يريده دون فرض قيود معلنة أو غير معلنة على هذا المجال أو ذاك، ودون الحاجة إلى رعاية وتبريك هذا الطرف أو ذاك، أو فرض شراكة شكلية مجانية معه بالإكراه في المشروع الذي يزمع إقامته، أو دون دفع نسب معينة لأفراد يشكلون الممر الاجباري لإقامة هذا المشروع أو ذاك، خاصة إذا كان من المشاريع الهامة، أو تفصيل قرارات وتعليمات وتلزيمات بشكل مسبق لصالح متنفذين قدامى ومتجددين وجدد.

خلق البيئة الصحية المناسبة للاستثمار سواء الداخلي أو الخارجي هي أداة هامة في معالجة نتائج الحرب التي تجري في سورية وعليها، وهي فرصة كبيرة من أجل إعادة هيكلة الاقتصاد الوطني بشكل عام والصناعة السورية بشكل خاص بسرعة وكفاءة، وهي تتطلب رؤية وطنية شاملة تأخذ بعين الاعتبار الدروس المستفادة من مرحلة ما قبل الأزمة وخلالها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة، للانتقال بسورية إلى بلد ناهض. ومن دون ذلك فإن قانون الاستثمار ينضم إلى قائمة قوانين رفع العتب التي تصدر دون تهيئة الشروط اللازمة لتنفيذها أو التي يجري إفراغها من مضمونها وإبعادها عن غايتها من خلال تعليماتها التنفيذية.

... عـــن الإصـــلاح الإداري

■ بعد أن مرّ أكثر من عام على طرح المشروع الوطني للإصلاح الإداري، أضع هنا بعض الملاحظات والآراء في ضوء الدليل التعريفي للمشروع الوطني للإصلاح الإداري.

بداية أقول عندما أصدر السيد الرئيس بشار الأسد المرسوم رقم ٢٨١ للعام ٢٠١٤ حول تحديد مهام وزارة التنمية الإدارية وأهدافها، اعتبرت في ذلك الوقت أن هذا المرسوم سيصبّ حتماً في الإصلاح الإداري. وكتبت وقتذاك: (لا ندري كيف ستتعامل وزارة التنمية الإدارية مع بعض العقليات والذهنيات المتخلفة التي تعشّش في مفاصل قطاعنا العام وشركاته ومؤسساته، والتي فصلت القوانين والأنظمة على مزاجها، فبالرغم من التطور الكبير الذي حصل في كل مناحي حياتنا اليومية وثورة التقانة والمعلومات والإعلام التي نعيشها، فنحن شئنا أم أبينا في خضم هذا التطور والتحول السريع والهائل الذي يجري يومياً على مستوى العالم والمنطقة.

تصادفك في دهاليز العمل العام هذه العقليات والذهنيات الغريبة والعجيبة المستندة إلى بعض الأنظمة والقوانين التي تكبل العمل وتمنع المبادرة وتدعم نظريات الموظفين العصملين الذين مازال كثير منهم قابعاً في المفاصل القيادية لمؤسسات القطاع العام ووزارات الدولة.

ومنها: (ما دخلنا!

- لا.. لا تقترح.. دير بالك!
- لا.. لا توقّع!
- اربط الكرّ محلّ البقلّك صاحبه!).

والكثير الكثير من هذه الأقاويل والنظريات العفنة التي تخنق أي روح للمبادرة وللتطوير والتحديث، وتجعل دم الفساد والمفسدين يسري في شرايين مؤسساتنا ودوائرنا الوطنية، التي صمدت وأثبتت وجودها وأهميتها ووطنيتها، رغم كل الحرب الضروس عليها لإفراغها من محتواها وضربها لضرب الدولة السورية).

للأسف الشديد لم تقم وزارة التنمية بالدور المطلوب منها بأن تكون نواة للإصلاح الإداري، فاقتصر دورها على الكلام وقص بعض التجارب لبلدان لا تشبهنا، ولصقها. فتحولت اللقاءات والحوارات التي كانت تقيمها الوزارة إلى ما يشبه حوار الطرشان. ومارست دور الأستاذ والمعلم على خيرة كوادرنا الإدارية المشهود لهم بالكفاءة والتجربة الإدارية الكبيرة عبر برنامج الجدارة القيادية في القيادة الإدارية، وتوج بطريقة مجحفة وصغيرة بحق تلك الكوادر والكفاءات والقامات الإدارية المشهود لهم، بإخضاعهم لامتحان كطلاب المرحلة الابتدائية، فلا نعرف من سيمتحن من؟ ومن هو الأفهم والأجدر في مجال الإدارة؟ نحن الآن لسنا بصدد تقييم وزارة التنمية الإدارية ولا بقياس أدائها وعملها، لكن هذا يعطينا فكرة عن طريقة إدارة هذا الملف الهام.

ما هكذا تكون الإدارة. ولا بهذه الطريقة نصنع الكوادر الإدارية الوطنية. أسلوب التلقين والحفظ لا يصنع قائداً ولا مديراً. وما هذا الدليل التعريفي الذي قدمته وزارة التنمية للمشروع الوطني الكبير للإصلاح الاداري إلا دليل على تخبط الوزارة وعدم قدرتها على مواكبة المتغيرات والتطورات الدولية والداخلية، ولا هو في مستوى الآمال.

لقد كانت مؤسسات وشركات القطاع العام بعمالها وموظفيها ومازالت الدرع الذي حمى الوطن، إلى جانب الجيش العربي السوري البطل، وسترى الروايات والأساطير عن بطولات عمالنا وموظفينا كل في مكانه، من عمال الكهرباء إلى عمال النفط إلى المعلمين في مدارسهم وجامعاتهم وعمال النسيج والمطاحن، والسكك الحديدية والمطارات والمرافئ، إلى عمال النظافة... الخ.

بعد سبع سنوات من هذه الحرب الملعونة على سورية والتي فشلت بفضل هؤلاء الأبطال العمال والفلاحين الصامدين المقاومين الصابرين وأبنائهم الأبطال الميامين في الجيش العربي السوري. يجب أن تتغير العقليات والذهنيات والنظرة بشكل عام إلى القطاع العام ليأخذ دوره الوطني الكبير المنوط به في دعم الاقتصاد السوري وفي مرحلة إعادة الإعمار. لذلك، أرى أنه يجب تطوير الأنظمة والقوانين، والاهتمام بالموظفين والعمال ونشر ثقافة أخلاقيات العمل والإخلاص له، وتوطيد العلاقة والثقة بين الموظف والمدير.

إن المشروع الوطني للإصلاح الإداري ليس مشروعاً خاصاً بوزارة التنمية الادارية، بل هو مشروع وطني للجميع. المهمة الكبيرة والأساسية تقع الآن على عاتق جميع الوزارات والجهات من أجل العمل على تغيير العقلية والذهنية وتطوير القوانين والأنظمة وإعطاء مرونة للإدارة والعاملين لتطوير منشآتهم بما يحقق زيادة في الإنتاج والإنتاجية ويحقق قيمة مضافة تنعكس في تحسين أجورهم ورفع مستوى حياتهم المعيشية، وأن توضع آلية تشجع كل مبادرة أو اقتراح لتطوير العمل وتحسينه، وأن يتم التوصل إلى صيغة أفضل لعمل الجهات الرقابية والوصائية على العمل والعمال مثل هيئة الرقابة الداخلية أو الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش، التي وللأسف الشديد نجد أنها في كثير من الأحيان لا تمارس دورها الوقائي من أجل درء الاخطاء قبل وقوعها. يجب دعم وربطه مع الواقع الداخلي.

٣- بعد ذلك نركز على نظام إدارة الأداء، وعلى تخطيط الأداء. من هنا نأتي إلى مفهوم الهيكل التنظيمي لتنفيذ المهام. وهل هذا قادر على تلبية متطلبات تنفيذ المهام. وما هي أدواته؟ ...الخ.

٤- يجب علينا بناء القدرات، لا التدريب والتأهيل فقط، لأن من أهم معايير القياس هو الأهداف.

٥- مراجعة الهياكل التنظيمية والأنظمة الداخلية. دراسة الموارد البشرية الموجودة وإجراء تحليل لواقع القوى العاملة والتوصيف الوظيفي وربطها مع الأداء وتقييم هذا الأداء. فنحن لا نعاني من نقص في الكوادر البشرية بل نحن نعاني من تمكين بشري.

٦- العمل على مشروع إصلاحي متكامل تكون البداية فيه مباشرة من إصدار قانون جديد للعاملين وليس تعديله، يتحلى بالمرونة والوضوح يعطي لكل قطاع استقلاليته ويراعي طبيعة عمله ليكون قادراً على المنافسة والإبداع، يتحمل المسؤولية في حالتي الخسارة والربح، لينعكس ذلك على الرواتب والأجور.

٧- وضع معايير اختيار القيادات العليا، بحيث تأخذ بعين الاعتبار المهارات الإنسانية والفكرية والتقنية، لنصل إلى مدير قائد وليس إلى مدير منقاد او مدير موظف يخشى اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب. المدير القائد هو الذي يكون في المقدمة، له مهارات استثنائية ويجعل موظفيه يعملون كفريق متجانس ومنسجم، القائد الأنجح هو الذي يستطيع أن يجعل عمل المؤسسة بغيابه كما في حضوره.

٨- أتمنى أن لا نتقيد ونطبق تجارب الآخرين عندنا كقالب جاهز، فنحن خلال السنوات الماضية تعلمنا الكثير، فهذه المرحلة التي نمر بها وهذه الحرب الملعونة التي نخوضها أعطتنا الكثير من الدروس والعبر وكشفت لنا معادن الرجال. فنحن يجب أن نعطي الدروس والتجارب للآخرين. يجب علينا إعادة التموضع والثقة بالقيادات الإدارية والكفاءات الوطنية التي صمدت وبقيت في الوطن وعملت في أصعب الظروف ولم تتخاذل ولم تترك الوطن وتهرب رغم المغريات ورغم التهديدات.

٩- يجب أن لا نقبل أن يأتينا مسؤولون من الخارج تآمروا جهاراً نهاراً على سورية وكانوا سبب أزمتنا ليقودوا عمل المؤسسات والشركات والوزارات في المرحلة المقبلة تحت أي مسمى، وخاصة من كان قبل الحرب مسؤولاً في إحدى المؤسسات أو الشركات أو الوزارات وكان يخرب ويتاجر بقوت الناس ويمارس كل الموبقات والفساد وينهب الدولة والشعب معا، وهرب إلى الخارج لينضم إلى جوقة المتآمرين.

١٠- أقترح ضم وزارة التنمية الإدارية أو دمجها مع هيئة تخطيط الدولة ومع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، لتصبح كلها وزارة التخطيط والموارد البشرية والعمل.

١١ - تفعيل مديريات التنمية الإدارية المركزية في الوزارات والجهات العامة ودمجها مع مديريات أخرى تشبهها في عملها مثل المديريات الإدارية والتدريب والتأهيل والمعلوماتية وغيرها.

د. سلمان صبيحة

بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيل فقيد الأدب حنا مينة

وقـــائـع حفـــل تـــأبـين !

د. عاطف البطرس

■ (اسمعا! ذات يوم، سأبتاع على هذا الشاطئ قطعة أرض، سأختارها بعناية، بعيدة عن العمران، قريبة من البحر والغابات، ناعمة الرمل، ملساء الحصى، مفتوحة للرياح، مكشوفة للشمس والقمر والليل)!

على هذه القطعة من الأرض أقيم حفل تأبيني بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة فقيد الأدب العربي حنا مينه.

دعي من في صدره شوق للمغامرة، ومن يبتسم من قلبه ويغضب منه وينتزعه عند الحاجة، ويلقي به في النار. كما حضر الحفل التأبيني عدد كبير من الصيادين والمنبوذين الذين كسرت العواصف قواربهم، ومجموعة من المغنين والسقاة والذين ليس لديهم أكياس يجمعون فيها القشور والأصداف.

شيدت منصة بسيطة من الخشب أشبه ما تكون بمسرح صغير وأمامه صفوف من الكراسي القديمة المصنوعة من أخشاب الغابة. كان ثمة رجل يحاول تنظيم الجلوس، إنه خليل العامل ومعه شاب في مقتبل العمر (أحمد) الذي يتوقد حماساً.

بدأت الوفود المشاركة في الحفل بالقدوم: المختار، محمد الحلبي، أبو فارس، رندة، فارس، رحب بهم خليل وأجلسهم في الصف الثاني تاركاً الصف الأول للضيوف الذين ربما قدموا من دمشق.

وبعدها حضر الوفد الثاني: أبو محمد، كامل، أم حسن، وبجانبها رجل بثياب بحار قديم لا يخشى الغرق ولا يتراجع ولا يهاب، إنه الطروسي. وبعدهم تقدم وفد ثالث يضم شاباً وسيماً يضع خنجراً على جانبه الأيسر، ورجل يحمل دفاً لضبط الإيقاع ومعهم شابة على عينيها نظارات طبية، وامرأة فارعة القامة متباهية بنفسها تضيء ابتسامتها المكان.

ثم حضر كل من زكريا المرسنلي وشكيبة وعبعوب، وقد تغيب عن الحضور وفد دمشق ممثلاً بدميتريو وراجعة وربيع المياس، ولم يعرف سبب تغيبهم عن الاحتفال.

على المنصة وضعت صورة كبيرة للفقيد وبعض اللافتات وقد كتب على أحدها (أن تعيش للاشيء يعني أن تموت)، وأخرى (التجربة هي المحك)، وثالثة (ستكونون ملعونين من جميع الأمم لأجلي، الخروج على المألوف لو يفهم في وقته لما عدّ خروجاً، الذي لا يخرج صوته لا يجيد الغناء).

قاربت الساعة الخامسة مساء. وكان لابد من البدء بالاحتفال قبل حلول الظلام.

امتلأت الكراسي بالحضور، شخصيات كثيرة تحررت من ورقيتها وجاءت للمشاركة في تأبين خالقها، حشود كبيرة، رجال ونساء، تداخلت أصواتهم، ثم فجأة حلّ هدوء مطبق، بعد أن صعد عريف الحفل إلى المنصة وقال:

نبدأ حفلنا التأبيني بالنشيد الوطني للجمهورية العربية السورية، ثم نقف دقيقة صمت تخليداً لذكرى فقيدنا الكبير: فياض في الثلج يأتي من النافذة، كرم المجاهدي في الربيع والخريف، عناد الزكرتاوي في النجوم تحاكم القمر.. فقيدنا الكبير حنا مينه.. الكلمة الآن لشيخ البحارة الذي أنقذ مركب الرحموني، لم يخش الغرق، تغلب على العاصفة، عاش الغربة موزعاً بين البر والبحر، رفض أن يعود إلا ريساً، إنه الطروسي.

صعد إلى المنصة رجل في الأربعين من العمر بيده خيزرانة، نظر إلى الحضور وبصوت متهدج يفيض حناناً ورجولة قال: لن أطيل عليكم، كل ما أريد قوله: لا تصدقوا حنا الذي أبدعني، هو لم يتعلم مني، إذ كيف يتعلم خالق من مخلوقه؟ أنا لم أمد لساني ساخراً منه، هو الذي علمني قيم الرجولة، وحب الوطن بلا فلسفة، وهو الذي شجعني على العودة إلى البحر وزرع فيّ أخلاق الريس.. إنني أنحني أمام إنسانيته وقدرته على صناعة الأبطال، لن تغرب شمسك يا حنا، إننا منك وأنت منا.. ثم صمت وكأنه فقد القدرة على الكلام.

ثم قدم عريف الحفل زكريا المرسنلي قائلاً: هل تصدقون كيف يمكن أن تحول المرأة مجرماً وحشاً خشبة إلى أرق من عود النعناع؟ نعم هذا ما فعلته شكيبة بزكريا، الكلمة لك أيها العائد من عالمك الصغير إلى مدينتك التي حولتك إلى قاتل، وعندما هاجمها الحوت عدت إليها تاركاً منزلك وشكيبتك.

الفقيد الغالي حنا مينه: لماذا جعلتني أمثولة للناس، كيف تحولت شخصيتي بفضل عقلك وأناملك؟ لقد صيرتني إنساناً، عشت وحشة الغابة، وأرعبتني مطاردة الدرك، حتى كلب شكيبتي كاد أن يقتلني، وحده البحر شفى جراحي.. أنا مدين لك باستعادة إنسانيتي، أنا قاتل زخريادس الخمار، وكدت أن أميت ابني ضرباً بالعصا، كيف أصبحت نظيفاً من الداخل ومن الخارج؟! المجد لك أيها المبدع الكبير!

لم يصعد خليل إلى المنصة، انتظر الحضور برهة، ترى من المتكلم بعد زكريا؟ قالوا: صالح حزوم، لا بل ابنه سعيد أو الريس عبدوش.

لكن، فجأة صعدت إلى المنصة امرأة بثوب فوق ركبتها، وشعر قصير، ووجه قد طلي بمساحيق مختلفة.

قالت شكيبة لأم حسن: من هذه الـ....؟ من سمح لها بالصعود إلى المنصة بهذا الشكل المزري؟ من أي ملهى جاءت؟! المرأة شعرت باستياء الحضور، وبدأت كلامها، أرجو الاستماع، هدوء يا سادة، أنا كاترين الحلوة.. لم أخن صالح مع الأتراك، ولم أقتل الريّس عبدوش، هم أحبوني.. نعم أخطأت وأنا الآن في هذا المحفل المهيب أعترف أمامكم بأن المسؤولية مشتركة، هو أرادني كذلك، فقيدنا جميعاً، أرادني أمثولة لكم.

صرخ صالح حزوم من المقاعد الخلفية: عاهرة.. خانتني مع ابني، وأهانت ابني مع الريس عبدوش، كل هذا يمكن أن أغفره لها، أما الخيانة مع التركي عدوي ومحتل أرضي فهذا لا يمكن أن نغفره لها، لقد طردتها من المدينة، وعليكم الآن أن تلعنوها.. أنزلوا هذه العاهرة عن المنصة!

تحول حفل التأبين إلى محاكمة، ودبت الفوضى فيه، لكن زنوبا ومريم السودا وامرأة القبو أنقذن الموقف، وطلبن من صالح التزام الصمت ومتابعة حفل التأبين، فامتثل صالح لطلبهن احتراماً لشخص الفقيد.

تابعت كاترين كلامها: لقد فقدنا نصيراً لنا، ولقضايانا، إنه من بارکنا وتعاطف مع مأساتنا التاريخية.. إنني أمامكم أتعهد بالوفاء لقيمه ومبادئه ومثله، وأجعل من سيرته وتضحياته قدوة ومثالاً لي فيما تبقى من حياتي.

بعدها صعد خليل إلى المنصة وقال مخاطباً الحضور: لقد جاءني حنا هارباً من الاضطهاد السياسي، وعاش في بيتي، اكتوى بنار التجربة، عاش صراعاً بين انتمائه الفكري وما يتطلبه منه من تضحية وبين قدراته على المقاومة.. انتصر على ضعفه واكتشف أن البرد ليس من النافذة، إنه من الغربة.. لذلك قرر العودة إلى الوطن بعد غياب عشر سنوات، لم يكتب فيها حرفاً واحداً، إنه ابني الذي به سررت. تحية إليك أيها المناضل الشجاع، والمفكر المستنير والأديب المبدع، لكل ما قدمته، للمساكين، للفقراء، للمضطهدين، أنت يا من تجاوزت الفقر ووصلت إلى العالمية، ستبقى حياً في قلوب الملايين من محبيك، وقرائك، لك الخلود الذي لا تؤمن به، ولك الشهرة التي لم تحترق بنارها، ولك التعظيم حقيقة وليس عزاء!

الصـــــورة والمشهـــــد

د. صلاح صالح

■ ما نعيشه من قحط ثقافي، مؤقت أو مديد، يجعلنا نتساءل عمّا يمكن أن تكون عليه حالنا الجمعيّة داخل الفراغ المتأتّي عن غياب المبدعين الكبار، قديماً وحديثاً.

نعم، يصعب على واحدنا أن يتخيّل ما يمكن أن نكون عليه من فقر وبؤس لو لم يكن في تراثنا أمثال امرئ القيس وأبي تمّام والمتنبي، وسواهم. ويصعب علينا في موازاة ذلك أن نتخيل ما يمكن أن تكون عليه حياتنا المعاصرة من فقر وإقفار وبؤس لو لم تتحلّ بوجود حنا مينه وأمثاله، ممّن ساهم في ضخّ النسغ الحيّ داخل شرايينا المبتلاة بيباس مزمن عمره يربو على ألف عام. لن نظلّ في الإطار العام، إذ لا مفرّ من الوقوف لدى المشهد السوري، في عموميّته وتفاصيله، التي استيقظ خلالها جيلنا على حراك ثقافي شامل تحلّى بأسماء كبيرة، كان في موقع الصدارة منها اسم حنا مينه الذي أرسى تقاليد راسخة بشأن القراءة ومتابعتها، لدى شريحة واسعة من مختلف الأعمار والسويّات الثقافيّة. لا أميل إلى المبالغة بخصوص رصد واقع يعرفه الجميع. هذا الواقع الموضوع تحت العين الراصدة يمدّنا بأن حنا مينه هو أبرز المساهمين السوريين في جعل فن الرواية على وجه التخصيص جزءاً أساساً من (الأدب)، بمفهومه الدقيق، بعد أن اقتصرت فكرة الأدب على الشعر وحده في موروثنا الثقافي حوالي سبعة عشر قرناً. وعلى ذلك، لم يكن من اليسير أن يتأتّى لحياتنا الأدبية المعاصرة أن تستقبل فنّاً آخر، هو فن الرواية الذي نظر إليه البعض بوصفه فناً دخيلاً، أو مدسوساً. ولنا أن نتخيّل عظمة الإسهام الذي قام به حنا مينه بخصوص جعل الرواية عموماً، ورواياته خصوصاً، جزءاً لا يمكن فصله عن مفهوم الأدب، بالتوازي مع جعل قراءة الرواية عموماً، ورواياته خصوصاً، نشاطاً (تقليدياً) من الأنشطة اليومية التي يمارسها المواطن السوري. لا أذكر ما أذكره في السياق الآنف على طريقة استحسان التذكير بمحاسن المفقودين، على الرغم من أنّ المفقود بمنزلة قمر أطال المكوث في صيغة المحاق. ولكن الواقع الثقافي السوري، الذي أدّعي أنني خبرته بدءاً من النصف الثاني من عقد الستينيات من القرن الماضي، يجعلني أصرّ على الدور الريادي الذي لعبه حنا مينه في جعل القراءة عموماً، وقراءة الرواية خصوصاً تقليداً يومياً لشريحة ذات طيف واسع من الأعمار والمستوى الثقافي والانتماء السياسي. وما يجعلني أصرّ على إبراز هذا الشأن هو فداحة ما تعيشه سورية من نكوص مريع على مستوى الانتماءات الضيّقة الملوّثة بمختلف الآفات، والانحرافات، نكوص يمكن اعتماده أساساً لمقايسة مؤلمة: إذا كانت حياتنا قد استنارت بوجود حنا مينه وأمثاله في تفاصيلها، وآلت إلى ما آلت إليه اليوم، فما مستوى الحال التي يمكن أن تكونه لو لم يكن حنا مينه ركناً متيناً من الأركان التي أرسي فوقها المشهد الثقافي السوري؟

في تراثنا الثقافي الثري، كانت الصورة الوامضة هي المستأثر الأبرز بألباب المتلقّين: كالهمّ في صورة بعير جاثم على صدر المهموم في معلقّة امرئ القيس، والصحو الذي يقطر مطراً في إحدى قصائد أبي تمام. بمعنى أن حياتنا الثقافية القديمة لم تكن تأبه عموماً بتصوير المشاهد الحيّة بوصفها حياة موازية للحياة الواقعية، مع استثناءات قليلة يمكن التمثيل عليها بقصيدة الحطيئة الميمية (وطاو ثلاثاً عاصب البطن مرمل)، وقصيدة أبي نواس التائية (وفتية كصابيح الدجى غرر / شمّ الأنوف من البيض المصاليت). وعظمة فنّ الرواية بوصفها فناً أدبياً قائمة على أنها مفعمة بالمشاهد التي تصنع حياة ورقية موازية للحياة الواقعية. لكنها أكثر اجتذاباً وقدرة على التأثير في المتلقي. وعلى ذلك، أزعم أنّ القارئ العربي لا يمكنه أن يغفل المشاهد الكثيفة الحيّة التي باتت جزءاً من تكوينه الثقافي والوجداني، بعد أن استطاعت روايات حنا مينه أن تحفر تلك المشاهد العميقة في المخيلة والوجدان على حدّ سواء.

تســـاؤلات للحـــوار

غياث رمزي الجرف

■ (لقد فكرتُ، منذ قرأتُ عمر الفاخوري في الأربعينيات، كيف يكونُ الأديب من لحم ودم، وليس من حبر وورق... كان الإنسان في داخلي إنساناً تواقاً إلى ما يريد أن يكون، لا ما يُراد له أن يكون) حنا مينه

(١)

المفكر (فؤاد زكريا) يرى أن الثقافة ليست أماناً واطمئناناً، وليست دعة وهدوءاً، وإنما هي العيش في خطر، وهي قلق وتوثب دائم. والكتاب العظيم والفن العظيم يكدران صفو حياتك، ويقضيان على استقرارك، ويجلبان لك القلق والانشغال.

أما المرجعية الفكرية، عربياً وعالمياً (إدوارد سعيد) فقد ميّز بين نوعين من المثقفين: النوع الأول هو المثقف الاحترافي الذي يرى في الثقافة مهنة من المهن (...)، والنوع الثاني هو المثقف الهاوي (الذي ينتمي إليه سعيد بامتياز) الذي يرى في الثقافة رسالة غير قابلة للتسليع والتداول والتفاوض، وغير خاضعة لقانون العرض والطلب. ويقوم (بتمثيل) المنبوذين والمهانين والمحرومين والمغبونين والمهمشين واللامسموعين. وتضع ما تدعو إليه تحت تصرف هؤلاء جميعاً.

إنّ هذه الكلمات المفصلية للمفكرين (زكريا) و(سعيد) تنطبق على جملة من المثقفين الحقيقيين، من مفكرين ومسرحيين وروائيين وشعراء وكتّاب، نذكر منهم: محمود أمين العالم، سعد الله ونوس، غسان كنفاني، أمل دنقل، محمود درويش... وتصحّ تماماً على حياة (حنا مينه) الغنية على كل صعيد، وعى ثقافته وإبداعاته الروائية، وعلى مقالاته وكتاباته المختلفة، فالثقافة لدى حنا مينه لم تكن في يوم من الأيام إلا ثقافة الرسالة. ولم تكن في أي وقت من الأوقات ثقافة مهنة. الثقافة الرسالة كانت شغله الشاغل، وهاجسه الحقيقي، وهمّه الأكبر، وقلقه الأعظم. وحنا مينه رفض أن يكون أديباً من حبر وورق، كما رفض رفضاً قاطعاً أن يكون ما يُراد له أن يكون. حنا مينه الذي عانى من البطالة والتّشرد والغربة والفقر والجوع والحرمان، وقف ضد الفقر والاستكانة والقمع والظلم والفساد والاستبداد والتسلّط وشريعة الغاب، ودافع بلا هوادة عن إنسانية الإنسان حتى لحظة رحيله.

(٢)

في رواية (الثلج يأتي من النافذة) التي تروي، فيما تروي، ألم المنفى والحنين إلى الوطن، وتحكي حكاية السائرين على درب الكفاح والنضال، يقول حنا مينه لـ(فياض) المناضل / المثقف: (هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ). وبعد عقود من الزمن يقول (حنا) في رسالة له لعاطف البطرس (١٣/٦/٢٠١٢): إلى الدكتور عاطف البطرس، ابني الحبيب الذي به سررتُ.

ترى هل هذه الكلمات الأثيرة لدى حنا مينه، دخلت عالمه الفكري وقاموسه اللغوي من باب الموروث الديني / الثقافة الدينية (وهو ذلك الطفل الذي عمل أربع سنوات بالخدمة في الكنيسة) أم هي من باب (التناص) مع الإنجيل المقدّس لا أكثر ولا أقل.

وفي هذه الرواية (الثلج يأتي من النافذة) يعلن الأديب العربي السوري / العالمي حنا مينه بوضوح وجلاء أن الثلج / البرد لا يأتي من النافذة (..؟!) فمن أين يأتي إذاً؟ هذه مفارقة. ها هنا، أودّ التنبيه إلى أن النافذة احتلت مكاناً مرموقاً في هذه الرواية، كما لعبت (النافذة) دوراً جوهرياً في أدب (نجيب محفوظ) (...) والسؤال: ماذا شكّلت النافذة في الأدب عموماً، وفي أدب الكبيرين مينه ومحفوظ خصوصاً؟

وفي هذه الرواية (الثلج يأتي من النافذة) يقول أديبنا حنا مينه: المرأة كالنوم تطلبه فيأبى، تتركه فيأتي. هل هذا التشبيه يصح أن يصدر من كاتب ماركسي / لينينيّ ما برح ينتصر للاشتراكية العلمية؟ وفي نهاية المطاف، هل هذا الموقف / التشبيه هو موقف تقدمي أم هو رجعي على هذا النحو أو ذاك؟

(٣)

قبل عامين من رحيل صاحب (المصابيح الزرق، الشراع والعاصفة، الشمس في يوم غائم، الياطر، امرأة تجهل أنها امرأة، الربيع والخريف، بقايا صور، مأساة ديميتريو، الذئب الأسود، ناظم حكمت وقضايا أدبية وفكرية...) جرى لقاء بينه وبين الدكتور عاطف البطرس، الذي ينظر إليه على أنه الابن الروحي الذي سرّ به، تحدثا فيه عن قضايا سياسية واجتماعية وأدبية، وتساءل (حنا) بحسرة وأسف عن مصير كتبه وصوره ولوحاته بعد رحيله (...) وقال: دعك يا بني من أكذوبة الخلود، ولا تتحدث عن الشهرة والعظمة، كلها للتعزية، مصير الإنسان إلى الفناء، الفراعنة وحدهم قد أدركوا ذلك، فاخترعوا فن التحنيط، ولكن أنتم ابتكرتم فن الكلمة: (هزمتك يا موت الفنون جميعها).

الذي يعنيني بالدرجة الأولى من هذا اللقاء قول حنا مينه: (إنني أنتظر الموت، لكن هذا اللعين لا يأتي). وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار وصيته الشهيرة التي أوصى فيها، فيما أوصى، بأن لا يبكيه أحد (..؟!) يكون لدينا سيل من الأسئلة، مثلاً، لماذا كاتب كبير مثل حنا مينه ينتظر الموت، بل يتمناه؟ ولماذا كانت وصيته في الأساس على الصورة التي نعرفها؟ ولماذا أوصى بأن لا يبكيه أحد؟! ولماذا... ولماذا؟

كل ذلك ماذا يعني على الصعيد النفسي والوجداني والاجتماعي؟ هل كان حنا مينه سعيداً، أو على الأقل مرتاحاً في حياته عندما بدأت تدنو منه اللحظة الخريفية وما بعدها؟ هل هو السأم والضجر والوحدة، وهذا الجسد الكليل؟ هل يكمن وراء الأكمة النكران والجحود وفقد الأنيس الاجتماعي الإنساني الحميم؟ هل... وهل... وهل؟

لساني يتعثر، يدي ترتجف، قلمي ينتحب وقلبي يسيل.

(٤)

هذه تساؤلات للحوار والكتابة أضعها بين يدي النقاد والمهتمين والمحبين، ولا سيما صديقي القريب الأستاذ الناقد الدكتور عاطف البطرس.

وفي هذا المقام أرى، فيما أرى، بعيداً عن (الإنشاء العربي والزجل اللبناني) أن الراحل حنا مينه، أحد أهم أعمدة الرواية العربية المعاصرة، لم (يدرس) ولم تُتناول إبداعاته وكتاباته ومساهماته المختلفة التناول الجدير بها، التناول الذي تستحقه عمقياً وأفقياً في حدود علمنا وعلى وجه الإجمال.

وبعد

القامة الأدبية الفذّة والخضراء.. حنا مينه، الغائب / الحاضر أبداً، الموت أسىً وشجن ولوعة، والفراق دائماً وأبداً وجع وجيع. رحلت، بحزنك الجليل النبيل، ومعك بحرك صديقك المخلص، الوفي، من جحيمنا الأرضي (...) إلى ملكوتك الأعلى لعلك تجد فيه ما يليق بإنسانيتك ومفردات وجودك، ما يليق بإبداعاتك الخالدة.

رسالة الأديبة سيلفا كابوديكيان إلى الأديب حنا مينه

د. نورا أريسيان

■ بمناسبة صدور الترجمة الأرمنية لرواية (الفم الكرزي) لحنا مينه (١٩٢٤–٢٠١٨) في عام ٢٠٠٦، أرسلت الأديبة والشاعرة الأرمنية سيلفا كابوديكيان (وهي من مواليد عام ١٩١٩، وتوفيت في يريفان في ٢٦ آب ٢٠٠٦)، رسالة الى الأديب حنا مينه بعنوان (تحية إلى الأديب العربي زميل دربي في القلم حنا مينه)، وقالت إن حنا مينه هو أحد أبرز الشخصيات الأدبية العربية المعاصرة، وصاحب العديد من الروايات والقصص الأدبية، إنه شخصية اجتماعية بارزة حازت على العديد من الأوسمة والجوائز التقديرية.

وكان حنا مينه قد كتب بمناسبة صدور روايته باللغة الأرمنية، في مقدمة الكتاب ما يلي: (هذا الشعب المكافح، هذا الأرمني القوي العزيمة والإصرار عاش بيننا، ترعرع في كنفنا وناضل معنا كتفاً لكتف في سبيل استقلال سورية، دون خوف من رصاص المحتل الفرنسي، لأنه كان مقتنعاً بأن القضية واحدة والصراع واحد).

وقالت كابوديكيان عن تلك الكلمة إنها كانت عميقة المعنى والتأثير حقاً، لأنها لم تكن مجرد كلمات، وإنما هدية نابعة من الصميم تقديراً للشعب الأرمني، ذلك الشعب الذي احتك معه الكاتب وعايشه على أرض الواقع، سواء في سورية أو لدى زيارته لأرمينيا موطن الأرمن ومهدهم المترامي تحت ظل جبل آرارات الشامخ.

أما عن رواية (الفم الكرزي) فأكدت كابوديكيان في رسالتها (وقد نشرت صحيفة (النور) نص الرسالة في ١٨ تشرين الأول ٢٠٠٦)، أنها أحد نتاجاته الأدبية الحديثة، وأننا نلمس الكثير من مشاعر التقدير والاحترام تجاه أبناء شعبنا في كل ثنايا الكتاب وصفحاته. وقالت: (إن هذا الأديب المتبصر يرى أن الأرمني ليس مجرد ذلك الإنسان الذي اقتُلع ونُفي عن أرض وطنه عنوة، أو ذلك المهاجر الواهن الضعيف يبحث في دروب التهجير الأليمة عن ذرة شفقة وسقف ملجأ أو مأوى في المدن المجهولة والبقاع الغريبة عنه. كما أنه ليس مجرد إنسان يسعى لتحصيل قوته اليومي بجهده وعرقه مغمضاً بصره وبصيرته عن مجريات العالم المحيط به، ولا مجرد صانع أحذية أو نجاراً ليس غير، وإنما الأرمني في نظر الكاتب هو (مناضل عنيد وشجاع) وشخصية متفردة اختزلت في ذاتها كماً هائلاً من المشاعر الإنسانية المقرونة بالإدراك الواعي والحس المرهف، المستعدة حين الطلب بالنضال والتفاني جنباً إلى جنب مع أي شعب أجنبي أو غريب عنه، كما كان الحال مع الشعب العربي وهو يقارع الاستعمار من أجل الحرية والاستقلال، تماماً بالسوية نفسها التي كان يناضل بها من أجل الاستقلال والتحرير لوطنه الأم). وأوضحت كابوديكيان أن معظم الشخصيات الأرمنية الواردة في الكتاب تمتاز بهذه المعالم الإنسانية النبيلة، وخاصة البطلة الرئيسة للرواية (يرانيك) التي تتسم بالحزم في المواقف والثبات على المبادئ وصاحبة الفكر والخلفية الثقافية الراقية.

وقالت كابوديكيان: (في خاتمة الكتاب ذكر المؤلف تاريخ الانتهاء من كتابة الرواية والمؤرخة في ٢٠ أيلول ١٩٩٧. وهذا يعني أن الرواية كتبت وطبعت في الآونة الأخيرة أي خلال السنوات التي واكبت بروز قضية كاراباخ وتداعياتها، حين كانت وسائل الإعلام الأذربيجانية_ نتيجة الهزائم التي منيت بها على أرض المعارك_ تحاول بشتى الوسائل نشر الدعايات ضد الأرمن وإطلاق النعوت الكاذبة عنهم بأنهم (إرهابيون وقتلة ومحتلون لأراضي الغير) سعياً يائساً من جانبهم لتشويه سمعة الأرمن وخلق جو من الكراهية ضدهم في كل مكان. لذلك، وفي إطار هذه الحملات المغرضة والصورة المشوهة للحقائق، فإن رواية هذا الأديب العربي المرموق تأتي أشبه بـ(الكتاب الشاهد) لدحض جميع الأضاليل الدعائية المغرضة التي حاول العدو بثّها ضد الأرمن).

وأعربت سيلفا كابوديكيان عن شكرها للأديب حنا مينه قائلة: (كشاعرة أرمنية منخرطة مع شعبي وبقضاياه المصيرية، فإنني أتقدم بالشكر الجزيل إلى الشعب العربي الأبي، وبالتقدير الكبير لهذا الكاتب العربي الكبير المتميز بالأفق الواسع ورحابة الصدر والوعي العميق، ليس فقط لأن الشعب العربي كان الملاذ والمأوى للشتات واليتامى الأرمن إبان النكبة، وإنما أيضاً لإصداره هذا الكتاب الدائم المفعم بالعدالة والواقعية، والذي سيكون له بلا شك الأثر الإيجابي الفعال في تسليط الأضواء بغية كشف الحقائق، وخاصة في ظروف التشويش الراهنة، حيث يخلطون بين ما هو غضّ ونديّ مع ما هو جاف ويابس، فيصبح الضحية بذلك قاتلاً والقاتل ضحية).

الفساد ما بين الحاجة والثقافة

■ الفساد آفة أخلاقية واجتماعية خطيرة، تُهدّد المجتمعات البشرية كافة، ذلك أنها موجودة في مختلف هذه المجتمعات، وإن بنسب مختلفة، تبعاً لفاعلية القوانين والقيم الاجتماعية والأخلاقية السائدة، وكذلك تبعاً لاهتمام الحكومات المعنية بمعيشة المواطن وكرامته، التي نصّت عليها جميع الدساتير على مستوى العالم أجمع.

وانطلاقاً من هذا، ندرك أن تلك الآفة أكثر ما هي موجودة في بلدان العالم الثالث، التي تُعاني تخلفاً على مختلف المستويات، ممّا يؤدي حتماً إلى فساد متعدد الأوجه والغايات.

وسورية إحدى تلك البلدان التي احتلت مرتبة (مرموقة) في هذا المجال، منذ عقود خلت، وذلك بسبب السياسات الحكومية المُتّبعة، وغياب الرقابة والقوانين الرادعة، ممّا حوّل تلك الآفة إلى ثقافة فردية، واجتماعية تبريرية سائدة، ذلك أن (الغاية تُبرر الوسيلة) انطلاقاً من أن الرواتب والأجور في القطاعين العام والخاص لا تفي حتى بالاحتياجات الأساسية أو الدنيا للعاملين فيها.

ورغم كل تبعات الحرب التي عاشها عموم السوريين، ورغم مختلف القرارات الحكومية التي اتُخِذَت بشأن محاربة الفساد، والعمل على حماية حقوق المواطنين وكرامتهم، وتحسين مستوى معيشتهم، نرى أنه على العكس من كل هذا، فقد استشرى الفساد بصورة مريعة، حتى صار علنياً بعد أن كان مُستتراً ببعض الشيء، ذلك أن الحكومة صمّت آذانها عن كل المطالب والمطالبات الدائمة بما تعهدت به، مخلية الساحة لذوي النفوس الضعيفة، كي يجدوا بأنفسهم موارد إضافية تدعم رواتبهم الهزيلة، وبالتالي لا رقابة ولا محاسبة، ما جعل من الموظف أو العامل الذي يرفض تلك المسلكيات أو يدينها حالة شاذّة ومرفوضة أحياناً، على المستويين الوظيفي والمجتمعي.

وهنا تكمن الخطورة الأكبر، إذ يتحوّل الفساد إلى ثقافة يتبناها المجتمع ويحميها، بدل أن يعمل على محاربتها والتصدي لها.

إيمان أحمد ونوس

«سرقة الدولة حلال»!

■ هي الجملة الأكثر شيوعاً في مجتمعاتنا العربية، والتي يُبرر بها كل موظف فكرة الرشوة، وحتى الاختلاس، كيف تكون السرقة حلالاً؟ لكن، من سرق بيضة حكماً سيسرق جملاً.

وهل تأتي الدولة بأموالها من بلاد مجاورة، أم هي من كدّ الشعب وتعبه؟!

لذلك، من يسرق فهو يسرق نفسه، ويسرق بلده والشعب، لا يؤثر بفعله على أجهزة الدولة فقط، وحتى الرشوة أو(السكّرة) باتت عادة طبيعية، نستهجن سلوك الموظف الذي لا يقبلها ، ولكن ما هو السبب؟

غالبا ما نُعلّق أفعالنا السيئة تلك على شماعة الوضع المادي، والحياة المعيشية الصعبة، والمتطلبات التي تخنق الأسرة أو حتى الفرد!

فالراتب لا يمكن أن يُلبي حاجات الأسرة الأساسية فقط، فكيف سيكفي بقية المتطلبات؟ معادلة يكون ناتجها موظف يسترق الثغرات، ليرمم بها جيوبه، وهذه ليست مبررات مقنعة، تجعلنا ننساق مع الرياح، نُبدل معالمنا وقيمنا بالتشويه والتخريب.

من يحتاج إلى مزيد من الدخل سيجد الطريقة، ولا يعني كلامي تبريراً للواقع المرّ الذي نحياه.

وربما عدة رواتب لا تكفي ليعيش المواطن حياة طبيعية؟!

وهنا يجب التفكير في تدني الأجور، وضرورة اهتمام الحكومة بمعيشة المواطنين وتحسينها، من خلال رفع الأجور والرواتب، لاسيما للفئات والشرائح الدنيا.

لكن الفكرة التي تشغلني: هل الموظف الفقير هو الوحيد الذي يتعاطى الرشوة؟

هل ستكون الرشوة ملك يمينه وحده، أم أنه سيتقاسمها مع أقلام أعطته الإذن حتى يستفيد ويوزع المنفعة عليهم، مقابل التغطية والحماية؟ أعتقد أن الإجابة واضحة!!

لن أقول إن الحل يبدأ بالضرب بيد من حديد، وبالعقوبات القاسية، لأن الجملة ستكون مملّة مقيتة ولا نفع منها.

من لم تعنه بالعدالة الاجتماعية لن تعنيه النزاهة أبداً، لكن هذا لا يلغي التجريم والعقوبة بشكل نهائي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الفعل مُستقبح باعتباره جريمة حقيقية.

لكن، لو أن الوضع المادي كان أفضل، فهل ستبقى الرشوة والاختلاس سائدة في المجتمع أو الدوائر؟

الحل بيد الدولة، ولكن ليست وحدها المسؤولة عن تجريم الفساد، بل سيقع الجزء الأكبر من التطبيق والالتزام، على عاتق ضمير المواطنين، وأخلاقهم وتربيتهم.

ضمير!! عادةً ما يُقال إنه مات، أو إنه في إجازة، فماذا عن البقية؟ هل سنستسلم؟

غزل حسين المصطفى

شباب ومجتمع
Youth & Society

مبررات تُبيح المحظورات!

■ بعض العاملين في دوائر الدولة من أصحاب القرار، أو حتى من الموظفين العاديين، يرون أن الأجر لا يساوي مجهود العمل المسند إليهم، بات غير متناسب مع الوضع الاقتصادي والمعيشي للناس، ولذلك، فهم يُسوّغون فكرة الرشوة، لتمرير معاملة قد تكون غير نظامية ومخالفة للقوانين، مقابل مبلغ مادي يساوي أضعاف الراتب، أو معاملة مؤجّلة رغم أنها مستوفية الشروط، إلا أن الروتين يقتضي بقاءها ضمن الأدراج لغاية في نفس يعقوب، وهنا لا بدّ من أن يدفع صاحبها مبلغاً مناسباً لتسريع العمل، وخاصةً من يأتي من المحافظات وليس لديه مكان إقامة، وبالتالي فإن هذا المبلغ أقل كلفة من السفر ومشقّاته، لاسيما اليوم، أو حتى ضمن المحافظة ذاتها، فإن الوقت الطويل الذي يمضيه في مراجعات الدوائر الحكومية لا يسعفه، فيضطر للجوء إلى الدفع مقابل استغلال الوقت.

تُعتبر الرشوة عند البعض من الموظفين لاسيما من ذوي المراكز الحساسة لدى مؤسسات الدولة، بمثابة مبلغ إضافي لسدّ الرمق، مع ارتفاع الأسعار وغلاء مختلف السلع، وخاصة الأساسية، فيبيح لنفسه السير في هذا الطريق، متسلّحاً بعبارات مثل: (الراتب لا يكفي أجرة منزل.. فكيف مع مستلزمات أخرى أكثر ضرورة، كالطعام والشراب واللباس؟! إذاً، لابدّ من دخل إضافي لسدّ تلك المستلزمات، لقاء خدمة المواطن، فالأجور والرواتب في الدولة محدودة وغير كافية)، والنوع الآخر من الموظفين يعتبر الرشوة مبلغاً إضافياً مكمّلاً للراتب، ويتمكّن به من الترفيه، وشراء الكماليات، على اعتبار أن الأساسيات موجودة.

رغم هذا، وأيّاً كان الدافع والمبرر وراء الرشوة، تبقى سلوكاً مغلوطاً، وسرقةً مغلّفةً تحت مسميات مختلفة، كما أنها عرقلة لعمل المواطن ومعاملاته، وبالتالي تسكع وتقصير بواجبات القطاع الخدمي.

ولعلّ أسباباً كثيرة جعلت الرشوة رائجة بين العاملين في قطاع الدولة، وحتى في القطاع الخاص، ولو بشكل أقلّ، ابتداءً من الراتب المحدود، إلى غلاء الأسعار، وليس انتهاءً بعدم وضع الأشخاص في المكان المناسب لدراستهم وتحصيلهم العلمي، إلاّ أن ذلك ليس مبرراً أخلاقياً لهذا التصرف الخاطئ، ولا بدّ من وضع ضوابط وعقوبات مناسبة لها، سواء من قبل الدولة، مع التركيز على أن هناك حقاً للمواطن بإتمام أوراقه ومعاملاته لدى دوائر الدولة دونما عرقلة، وخاصةً إذا كانت نظامية مستوفية الشروط، كذلك يجب إعادة النظر بأجور العاملين، بما يتناسب مع أسعار السلع في الأسواق، إضافة إلى وضع الشخص المناسب في مكانه المناسب، وخاصةً أصحاب الشهادات العلمية، ولا نتجاهل أن الشخص نفسه يمكن أن يتلافى اللجوء إلى الرشوة، من خلال ساعات عمل إضافية مأجورة، تسدُّ الفجوة في احتياجاته، لكي لا يكون عرضة للمسؤولية وللنظرة الدونية من قبل المجتمع، رغم أن المجتمع قد شرعن إلى حدّ ما تلك الثقافة السلبية، وبهذه الحلول تتمكّن الدولة من التصدي للفساد المستشري داخل قطاعاتها، ولو بالحدود الضيّقة، لتتمكن من النهوض بالقطاع العام ومؤسساته نحو الأفضل، مع التركيز على إلغاء الروتين بين المكاتب، للسيطرة على هذا الفساد، والتسريع بالوقت لخدمة الدولة والمواطن معاً.

وعد حسون نصر

الفساد بداعي الحاجة.. بين الواقع المر والضمير

■ يواجه مجتمعنا الآن أكثر من ذي قبل، حقيقة مرّة وقاسية، تخلّف ألماً في كثير من الأحيان، يزيد عن الألم الذي قد يشعر به المرء جرّاء الأوجاع، التي تسببها أكثر الأمراض خبثاً ومرارة؟!! هذه الحقيقة هي (الفساد) المستشري في مختلف الأوساط.

فالفساد أضحى اليوم ظاهرةً لا يمكن السكوت عنها، باعتباره صار مُستشرياً، لدرجة الصعوبة في استئصاله، فيصبح أزمة وطنية، تستدعي إنشاء وزارة خاصة لمكافحته.

لكن إن بحثنا عن أسبابه، وجدنا أن أهمها تدنّي مستوى الأجور للعاملين في القطاعين الخاص والعام، غلاء المعيشة، ارتفاع الأسعار، ونضيف على مجموعة الأسباب هذه سبب جوهري آخر، ظهر جلياً في خضم الأزمة التي تعرضت لها البلاد، ألا وهو ارتفاع أجور البيوت والمساكن، في ظل الأوضاع المأساوية، التي اضطرّت المواطنين إلى ترك منازلهم، بسبب انتشار الجماعات الإرهابية المسلحة، في مناطقهم وقراهم.

السؤال الذي يُطرح الآن: هل هذه الأسباب التي ذكرناها تعطينا الحق بتبرير الفساد؟ شخصياً، أعتقد أن كل هذا ليس مبرراً للفساد، فقبل أن نُحاسب المرتشي والفاسد، يجب أن نعرف موقع ضميره في هذه الجريمة، التي لا تقلُّ خطورة عن الجرائم الأخرى، لا نستطيع أن نُنكر أن تدني الأجور قد يشكل دافعاً لدى البعض لتقبّل الرشوى والمحسوبية، لكن نجد في المقابل أن الزيادات التي أضيفت إلى الأجور في أوقات سابقة، قابلها زيادة في أسعار كل ما يخص معيشة المواطن، إذ أصبحت الزيادة عبئاً على كاهل المواطن، أكثر منها تفريجاً لهمه، بسبب غياب الرقابة على الأسواق، أو تطبيق الرقابة على الصغار في السوق، وغض البصر عن الكبار من حيتانه، وهذا يعود أيضاً للفساد الذي يُعطّل دور الرقابة إن وجدت، وحتى مع وجود الرقابة فإنها لم تعد تُشكّل في كثير من الأحيان قوة رادعة في وجه الفاسدين والمفسدين.

ما نريد الوصول إليه وما نأمل تحقيقه كهدف أساسي، هو (مجتمع خالٍ من الفساد) وتطبيق هذا الهدف على أرض الواقع، لا أن يصبح حلماً بعيد التحقيق، كما لا نريد أن نُحمّل الأجيال اللاحقة مسؤولية وعبء ما فشلنا في تحقيقه نحن، بسبب تغاضينا وإهمالنا في محاربة الفساد المستشري.

حسن البني

الفساد... ذلك المارد المدلل

■ الفساد، ظاهرة عالمية بامتياز، إذ لا يخلو منها بلد، وتعاني الجهات العامة والخاصة من هذا الأخطبوط الخطير، لكن تفشي الفساد وتحوله إلى ثقافة مجتمعية، هو ما يميّز الحالة السورية والعربية إلى حدٍّ ما، حتى أن سورية احتلت المرتبة الـ ١٤ من بين الدول الأكثر فساداً في العالم، حسب مؤشّرات منظمة الشفافية العالمية (مقرها مدريد)، في آخر تقرير لها، ولم تتفوق علينا من الدول العربية في حقل الفساد سوى الصومال وجنوب السودان!!

كيف حصل ذلك؟

باختصار شديد، وباستعادة ما طرحه مفكرون وسياسيون سوريون، درسوا ظاهرة الفساد بعدما فتح ملف الإصلاح في سورية بعد عام ٢٠٠٠، نستطيع القول أن مولّدات الفساد تنحصر بشكل أساسي في غياب الحريات السياسية والإعلامية، وطغيان النظام الأمني، منذ استطاع نظام الوحدة وأد التجربة الديمقراطية الرائدة في سورية، عام ١٩٥٨، ثم تابعت الانقلابات العسكرية تكريس غياب الدستور، أو تعليقه، وتطبيق قوانين الطوارئ تحت حجج ومسميات شتى.

أي أن غياب الديمقراطية هو البيئة الأنسب لنمو الفساد وتجذّره في المجتمع.

لكن لا بدّ من الإشارة إلى ما ترتكبه الحكومات المتتالية في سورية، بحق المجتمع السوري، في تحويل فئات متزايدة يوماً بعد يوم إلى فاسدين ومفسدين، إذ إن ظاهرتي الفساد والإفساد متلازمتان طبعاً.

إن تدمير القوة الشرائية للعملة، وتجميد دخول العاملين عند حدود، لا تكفي للعيش لأيام، جعلت همّ كل مواطن سوري هو البحث عن إيرادات إضافية، تُعينه وعائلته على تأمين أدنى متطلبات العيش –غير الكريم– طبعاً، وهذه الإيرادات إما أن تكون من عمل إضافي (أو عملين أحياناً)، وهو ما كان ممكناً إلى حدٍّ ما قبل الحرب، لكنه أصبح أقرب إلى الاستحالة بعدها، أو أن تكون عبر مساعدة واحد أو أكثر من أفراد العائلة ممّن هاجروا خارج البلاد، ويكفي أن نراقب الازدحام على أبواب مكاتب تحويل العملة في المدن السورية، وتكاثر الشركات المتخصصة في ذلك، لنعرف مدى اعتماد السوريين على الأموال المحوّلة من الخارج، ثم يأتي السبيل الثالث، والأكثر شيوعاً للتأقلم مع هذا الوضع الشّاذ، وتأمين احتياجات الحياة للمواطن المنتوف، وهو الفساد والرشوة.

وأصبح طبيعياً السؤال عند تأمين فرصة عمل لأحدهم عن (البراني) كرديف للراتب، وهو ما يُشار به إلى موارد الفساد والرشوة طبعاً، وهو ما يحصل بشكل شبه علني ومفضوح في معظم – إن لم نقل كلّ– مفاصل العمل الحكومي والخاص أيضاً بدرجة أقل.

وقد قيل الكثير منذ إثارة قضية الإصلاح في سورية مطلع الألفية الثالثة، عن المدخل الأول للإصلاح الاقتصادي، الذي يتمثل في الإصلاح السياسي (الديمقراطية السياسية) أولاً، ثم وضع سلّم متحرك يربط الأجور بتكاليف المعيشة، وهو ما صمّت الحكومات المتوالية آذانها عنه، بل اعتبرت قائليه متآمرين أو مزاودين في أحسن الحالات.

والنتيجة كانت انفجار الوضع بذلك الشكل الكارثي، عام ٢٠١١، ثم تطورت الأمور الى حرب عمياء لا تُبقي ولا تذر، نتيجة تدخلات خارجية شتى.

إن ضعف الرواتب والأجور في سورية هو مولّد أساسي لظاهرة الفساد والإفساد، فكيف يستطيع مواطن مع عائلته العيش بـ٦٠ دولاراً في الشهر؟

إن الصمت عن جريمة الفساد والإفساد، وترك دخول العاملين على هذه الحال المزرية، يعني أحد أمرين:

إما أن أصحاب القرار منفصلون عن الواقع وخارج التاريخ، وهذه مصيبة، أو أنهم شركاء في عملية الفساد والإفساد وهي مصيبة أعظم.

حسين خليفة
husenkhalife@hotmail.com

تبريرات غير أخلاقية

■ تتكون المنظومة الأخلاقية عند الإنسان من مجموعة قيم لا يمكن فصل الواحدة منها عن الأخرى، وإلاّ تزعزعت تلك المنظومة، وتعرضت للخلل، وهذا ما يحدث عندما يتمّ التخلي عن أحد تلك المكونات واختلاق المبررات الخاصة لذاك التخلي.

وأحد جوانب هذا الخلل ما نعيشه ونُعايشه اليوم، فيما يتعلق بموضوع الفساد الأخلاقي، سواء من النواحي المادية أو الفكرية أو غيرها، إلاّ أن للفساد المادي خطراً جوهرياً، لأنه ينعكس على باقي الجوانب، وعلى الحالة الجمعية العامة، ولا يقتصر على الفرد بذاته، وهذا هو حال مجتمعنا الذي اعتاد الفساد المادي، واعتاد تبريره بشتى الصفات، ما أفسح المجال رحباً واسعاً لانتشار الرشوة بأشكال مختلفة، بدءاً من الهدية، وليس انتهاءً بدفع الأموال أو تقاضيها.

يبرر العديد سلوكهم هذا بحكم تدني الأجور وصعوبة تأمين مستلزمات الحياة المعاشية، وما هذا إلاّ مبرر فرضته ثقافة مجتمعية سلبية سائدة، فمهما كان الوضع الاقتصادي أو المادي ضعيفاً، لكنه ليس دافعاً لتعاطي الرشوة، ونشر ثقافة الفساد، إن لم يمتلك الإنسان الاستعداد الداخلي والفكري لهذا الأمر، والأمثلة عديدة على كلتا الصورتين.

إلاّ أن النماذج التي اعتمدت الرشوة كمبدأ في الحياة، باتت كبيرة وكثيرة، إذ تحوّل نقيضها، الذي هو الأصح أخلاقياً، إلى حالة شاذة ومستهجنة، بل وتُكال له شتى الصفات والتهكمات، ويتعرض للمضايقات المتعددة، التي تبدأ بالسخرية ولا تنتهي بالتضييق عليه في العمل، كثمن لاعتناقه مبادئ باتت غريبةً عنّ المجتمع.

إذاً فالحالة المادية التي يعيشها الشخص ليست مبرراً كافياً لأي سلوك غير أخلاقي، إن لم يمتلك بداخله الاستعداد له، وهذا الاستعداد يتكون من خلال التربية المنزلية أولاً، فحين ينمو الإنسان في بيت يبرر هذا السلوك، سيكبر وكأن هذا الأمر هو الصحيح، وما عداه هو الخطأ، والعكس بالعكس.

مهما انتشرت هذه الثقافة وتعددت مبرراتها، واتسعت الشريحة التي تتبناها، فإن المنظومة القيمية الأخلاقية لا تزال واضحةً ومحددة الأركان، ولا يمكن فصل أي منها عن الباقي، لأنه حين يتمّ التخلي عن جانب، سيتم التخلي عن باقي الجوانب رويداً رويداً... فمن يعتمد الرشوة كمبدأ فإنه حكماً سيعتمد جوانب لا أخلاقية أخرى، كنتيجة حتمية، ما يجعله شيئاً فشيئاً إنساناً بعيداً كل البعد عن تلك المنظومة القيمية.

وللأسف الشديد فإن الثمن الذي يدفعه كل من يتبنى قيماً أخلاقية صحيحة، يزداد يوماً بعد يوم، ويصبح من الصعب في بعض الأحيان تحمّله، إلاّ أن القوة والتماسك الداخلي هما السلاح الوحيد للمجابهة والصمود، فلنعمل على بناء أجيالنا القادمة انطلاقاً من بيوتنا، ومن تشبثنا بمعتقداتنا وأفكارنا، وعدم التزحزح عنها مهما كانت الظروف قاهرة وقاسية..

إيناس ونوس

الفاسدون والمُفسَدون

■ عند دراسة أيةّ ظاهرة اجتماعية سلبية، تُدرس الدوافع القابعة أو الكامنة خلف هذه الظاهرة، وتوضع آليات لإلغاء هذه الدوافع، وبالنسبة للرشوة والفساد في سورية، فأنا لا أرى الموظف الذي يتقاضى رشوة، ليؤمن مستلزمات منزله الأساسية، حتى نهاية الشهر لأن راتبه لا يكفيه، لا أراه فاسداً خطيراً، ومخرباً لمبادئ العدالة الاجتماعية والعمل المؤسساتي، بقدر ما يُشكّل الفاسد الثري، الذي يريد أن يغيّر سياراته الفخمة المستوردة، بسيارات أحدث، ويريد افتتاح فروع جديدة لشركاته التي أسّسها من سرقة المال العام.

فكما أن أخطر اللصوص هو من يرتدي بدلة أنيقة، وليس ذلك (المعتر) الذي يتسلّق ماسورة المياه، ليصل إلى نافذة الضحية.

كذلك الفاسد الأخطر، ليس من يريد أن يملأ الثلاجة بالطعام لعياله، بل هو ذاك الذي يحول دون صعود سورية كدولة عظمى، مثل أي دولة أوربية قوية ومؤثرة، لأن سورية لا ينقصها شيء لتكون دولة متقدمة ورائدة، لولا أن الفساد والاحتكار والمحسوبيات تستنزف فرصها في التطور والنهوض الكبير.

لعلّ أخطر مسألة في أولئك الذي يرتشون ليكملوا مصروفهم الشهري، بحيث لا ينقص أسرهم شيء، ظنّهم أو إحساسهم أنهم جزء من الفساد الذي يجهض نهوض الدولة، وبالتالي يمتنعون عن انتقاد ومهاجمة الفاسدين الحقيقيين والكبار أو مهاجمتهم، ويحسبون أنهم في خندق واحد معهم.

إن الغالبية يشعرون أنهم متورطون في الفساد، مما يتيح للفاسد الحقيقي (الخطير) أن ينجو بفعلته.

سامر منصور

الرشوة في حيّز المعالجة

■ كشفت عدة محاولات داخل الدوائر الرسمية عن وجود خلل ما!! وكما هو حاصل في حكم العادة، لا توجّه أصابع الاتهام للجريمة، بقدر ما توجه للدوافع والأسباب، فمن المنطقي أخذ السابق في عين الاعتبار، فكما يقال: (عند معرفة السبب يبطُل العجب).

فالحالة العجيبة هي السائدة، ما تعارف عليه على أنّهُ (عربون خدمة) والخدمات التي تقدّم من قبل العاملين في هذه الدوائر (يرخص لها الغالي والنفيس)، فتوقيع رئيس الدائرة كما توقيع موظف الديوان، وغيرها من إجراءات روتينية، لا تقدر بثمن!! عربون الخدمة أو الرشوة، في أوساط الموظفين، دائماً ما يتبعه شكوى صعوبة الأحوال المادية، وازدياد الضائقة الاقتصادية، وصولاً إلى الصلب الذي هو (الراتب الشهري)، فهل هذا التعويض لا يرضي الموظف لدونيته؟ أم لكثرة الطمع في النفوس؟

فئات الموظفين متفاوتة من حيث المؤهلات، لكن الجميع في البوتقة ذاتها، فالجامعي كما الفئة الدنيا، يشكو القلّة فيما يتقاضاه، علماً أنّ غياب الرقابة الإدارية والمالية في أجهزة الدولة عموماً، وغض البصر عن أدوارها الرادعة، منحت الموظف (كرت توصية) لممارسة تجاوزات عدة، وبذلك أصبح الموظف هذا ذو فضلين، الأول منهما على الدولة، يتقاضى عليه راتباً شهرياً، والثاني منهما على المواطن، الذي يمنح الموظف أجراً يقارب متوسط يومية الموظف خلال شهر كامل، وفي الكثير من الأحيان يكون هذا الأجر هو كل ما يملك المواطن، فكما أنّ الرشوة كالفساد كالخلل، أينما حركت ناظريك تجده فإن هذا الخلل والفساد وجد بفعل مُفتعَل، فحيث تلقى الرضا ترى الأمورً أكثر مثالية، وأقل صعوبة، وحيث يكون الطمع، تزداد الأمور بساطةً وسهولة، لتنهال على من حولك فترضي جيبك لا ضميرك النائم.

وعلى اعتبار أن الموظف هو أداة الوظيفة، وأنّ عمله ليس تبرعاً، فله حق مالي، من المفترض إعادة هيكلته من قبل المعنيين، ليتناسب مع حاجيات الموظف، وحجم التضخم الاقتصادي.

علماً أن للرشوة والفساد انعكاسات تطول الموظف كما المواطن كما المجتمع، فإعداد الأجهزة الرقابية السليمة خطوة لا يُستهان بها، فضلاً عن الحاجة إلى تقييم أدوار الموظفين وإنجازاتهم، وتطبيق قاعدة الثواب والعقاب على الجميع دون استثناء، وصولاً إلى إدارة عادلة تعكس الصورة الحقيقية للدولة، ليعمّ الخير على جميع أبناء الوطن .

غزل محمد عائشة

● اغلق تحرير العدد مساء الاثنين ٢٠١٨/١٠/٨

الملف النووي الإيراني.. إلى أين؟

■ تقود الولايات المتحدة الأمريكية حملة دولية محمومة، ضدّ التوجه الإيراني النووي، تتضمن دعماً وتأييداً مطلقين للصهاينة.

وقد تحولت عملية التصدي والحيلولة دون وصول إيران إلى قدرة نووية وتحديداً منذ عام ٢٠٠٣ إلى شغل شاغل لصانعي القرار الصهيوني، كما أصبحت مدار بحث وتدقيق تجريه مراكز الدراسات والبحوث الاستراتيجية لدى الصهاينة، إذ يرون في البرنامج النووي الإيراني خطراً شديداً على أمنهم، وهم يوقنون أن هذا البرنامج يحتل المرتبة الأولى في قائمة التهديدات الخارجية التي تواجه الصهاينة، في ظل تراجع الوزن النسبي لتهديدات العرب العسكرية، وانسحاب بعضهم من عملية التعبئة ضد ذلك الكيان إلى المرتبة الثالثة.

وقد جاء مؤتمر الرياض ٢٠١٧ الذي ضم الولايات المتحدة الأمريكية إلى خمس وخمسين دولة عربية وإسلامية ليرسم هذا المحور الذي أعلن عن ولادته آنذاك، بدعوى محاربة الإرهاب المتمثل في تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وحركة حماس في فلسطين، وحلفاء إيران في المنطقة، كحزب الله اللبناني، والحشد الشعبي في العراق، والحوثيين في اليمن، والمعارضة الشيعية في البحرين، وبدعوى التصدي لإيران باعتبارها تشكل الخطر الداهم الرئيسي والمباشر على المصالح العربية.

ويعمل هذا المحور على إعادة صياغة المعادلات السياسية والتحالفية في المنطقة وترتيب أولويات الصراع.

وبدلاً من أن تكون إسرائيل هي العدو الرئيسي التي يجب تحشيد القوى في مواجهته من بوابة مواصلة المقاطعة السياسية والاقتصادية، ومكافحة التطبيع ودعم الشعب الفلسطيني ومقاومته للاحتلال، تصبح إيران وحلفاؤها هم الخطر الذي يجب التصدي له.

لذلك لا غرابة أن تلجأ بعض الدول في هذا المحور (السعودية) إلى تخليف مواقفها السياسية الملتحقة بالسياسة الأمريكية والمتحالفة معها بعبارات دينية ومذهبية، كالحديث عن الصراع السني– الشيعي، فهي تملتحف بالغطاء الديني لتموّه على حقائق سياساتها.

من بين الاعتبارات التي تدفع الصهاينة إلى منح إيران المكانة الأولى في سلم التهديدات نهجُها الإسلامي الراديكالي الذي يدعو إلى إزالة إسرائيل من الوجود، والتعاظم العسكري الذي بلغته ممثلاً برادع جوي، مع قدرة هجومية بعيدة المدى لقاذفات حربية من نوع سوخوي يمكن تزويدها بالوقود جواً، وذراع بحرية بعيدة المدى ذات قدرة على إغلاق طرق تصدير النفط من الخليج، وقدرة على تنفيذ عمليات إنزال برمائية، وذراع استراتيجية لصواريخ أرض_ أرض بعيدة المدى ويمكن لها أن تضرب العمق الصهيوني.

لا شك أن الصهاينة يرون أن إيران تشكل تهديداً وخطراً وجودياً عليهم.

هذه الرؤيا تتأتى من القراءة الصهيونية لمكانة إيران وموقفها، ولطبيعة التكوين السياسي الفكري فيها.

الموقف الأمريكي المتصاعد ضد إيران والقرارات الاقتصادية الظالمة بحقها جاءت لتحقيق:

١– الأمن والاستقرار للعدو الصهيوني وهو الأولوية في سلم سياستها.

٢– عدم الإخلال بميزان القوى في المنطقة وبقاء التفوق المطلق للعدو الصهيوني وله الأفضلية في ذلك.

٣– تعتبر أمريكا أن امتلاك إيران لهذا السلاح هو تهديد مباشر لأمنها وأمن العالم.

لذلك يبذل العدو الصهيوني كامل طاقاته السياسية لتشكيل حلف ناتو عربي ضد إيران، وهناك خيارات مطروحة أمام الصهاينة لمواجهة الخطر الإيراني:

١– الضربة العسكرية: في إطار الضربة العسكرية للمنشآت والمواقع النووية الإيرانية، هناك أصوات متصلة بالقرار الصهيوني يصدر عنها ما يفيد حضور الحسم العسكري للتعامل مع البرنامج النووي الإيراني، إلا أنه يجري ربط هذه الدعوات في سياق وصول الضغط الدولي على إيران إلى نقطة الفشل.

وفي إطار سيناريو الضربة العسكرية نفسها يمكن ملاحظة أصوات صهيونية تتمنى بل وترغب في أن تقوم أمريكا بعملية عسكرية ضد إيران. وعلى الرغم من عدم وجود مباشرة في الطرح لدى هؤلاء إلا أن مثل هذه الإشارات تكثر خصوصاً لدى الحديث عن المصاعب الميدانية التي تعترضهم في حال وصلت إيران إلى نقطة حاسمة، بعد فشل الجهود الدبلوماسية حالياً في أوجها.

الأسلوب الدبلوماسي

الأسلوب الذي تفيد المؤشرات بأنه المعتمد لدى العدو حتى الآن يقوم على تراجع العدو إلى الخلف ومساندة الضغوط الدولية، والأمل بأن تنكبح إيران بنتيجتها وتوقف برنامجها النووي، وفي الوقت نفسه يعمل الصهاينة على جملة من المطالب التي تسهم في مواصلة الضغوط وتصعيب الموقف الإيراني، ويمكن أن نشير إلى جملة منها:

– إظهار المشكلة النووية والصاروخية الإيرانية كمشكلة لمجموعة من الدول، بهدف إشراك دول عربية وآسيوية وأوربية ووضعها في الجهة المقابلة لإيران وإلى جانب الصهاينة كمتضررين ومهددين بدءاً من الدول العربية خصوصاً دول الخليج وانتهاء بدول أوربية.

– استغلال جملة من التقارير الإعلامية الأجنبية التي تتحدث عن أن الصهاينة سيحضرون لتفعيل الخيار العسكري على شاكلة ضرب المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١ في إطار الضغط والحرب النفسية على إيران.

وأن الساحة الدولية مستعدة للسير بعيداً في فرض العقوبات ولن ترفعها حتى تكف إيران عن سعيها النووي، وإذا ما انغلق الطريق السياسي فستدفع أمريكا وإسرائيل إلى استخدام القوة كي تشوشا وتعرقلا السباق الإيراني نحو السلاح النووي.

وخلاصة القول: إن إيران تتشبث ببرنامجها النووي وترفض التنازل عما وصفته بمنجزات علمية، وتعلن سلمية البرنامج، بينما العدو الصهيوني قد وضع هذا الملف قرب أنفه ونصب عينيه، وهو يرى فيه تهديداً مباشراً لوجوده وأمنه.

من هنا عمل العدو بكل الوسائل ووظف تحالفاته الإقليمية والدولية لعزل إيران ومحاصرتها من أجل ردعها عن المضي في برنامجها النووي.

وفي الوقت الذي يستشف أن العدو يعمل على الخيار السياسي إلا أنه من الصعب القول إنه لن يقدم مستقبلاً على خطوات عسكرية، وخصوصاً في حال وصلت فيه المساعي الدبلوماسية الدولية لإيقاف المشروع النووي لإيران إلى طريق مسدود، وتأكد له أن الولايات المتحدة الأمريكية لا نية لديها لتنفيذ ضربة عسكرية ناجعة للجم الطموحات النووية الإيرانية.

موسى الخطيب

السويداء تودّع الرفيق المهندس ممدوح هلال

■ شيّعت محافظة السويداء في منتصف آب الرفيق المهندس ممدوح هلال، وذلك بعد أن أمضى نصف قرن من العمل المهني الدؤوب، ومن النشاط الحزبي الخلاق، كان مسؤول منظمة مدينة السويداء، وقادها بكفاءة وحماس، وقد ألقى المهندس منهال وهب كلمة رفاق الفقيد وأصدقائه، تناول فيها سيرة حياة الفقيد الغنية، والحافلة بالمآثر، وبالقيم الوطنية النبيلة، وألقى المهندس معذى سليقة (رئيس فرع نقابة المهندسين) كلمة تحدث فيها عن نشاط المهندس ممدوح منذ نشأة فرع النقابة، وشجاعته في الدفاع عن حقوق زملائه ممثلاً للحزب في فرع النقابة. ولقد أشار كثير من المعزّين إلى صلابة الفقيد المبدئية، وتصديه لمصاعب الحياة بروح متفائلة، وبرأي سديد، وتحدثوا عن صفاته الشخصية المحببة وثقافته الرفيعة، وفكره اللمّاح، ومحبته للرفاق وللناس، ونظافة يده في عمله مديراً للأبنية المدرسية.

لقد ظل الرفيق أبو رشيد حتى الرمق الأخير متوقد القلب، جميل المحيا، شامخاً كما السنديان، مسكوناً بالقلق على وطنه الدامي والممزّق، ورحل كنجمة انطفأت، تاركاً في نفوس أصدقائه ومحبيه ورفاق منظمته ذكريات لا تنسى.

وفاة الرفيق عبد الحميد عيسى

توفي في دمشق الرفيق عبد الحميد عيسى (أبو محمد) عن عمر ناهز ٧٩ عاماً، ووري الثرى بتاريخ ٢٠١٨/١٠/٤ في قرية الناصرية بريف دمشق، مسقط رأسه. والرفيق الراحل من مواليد عام ١٩٣٩، انتسب إلى الحزب الشيوعي السوري في بداية ستينيات القرن الماضي، وهو من الرفاق الأوائل في منظمة الناصرية للحزب. غادر إلى السعودية بقصد العمل منذ الثمانينيات وعاد قبل عام إلى الوطن، وبعد عودته فوراً اتصل بالرفاق ليعيد صلته الحزبية والتنظيمية، وظل وفياً لحزبه ومخلصاً لمبادئه حتى وفاته.

قيادة الحزب الشيوعي السوري الموحد، وأسرة (النور) تتقدمان من عائلة الفقيد ورفاقه وأصدقائه ومحبّيه، بأحرّ التعازي القلبية.

شكر وتقدير

يتقدم المحامي فؤاد البني
(المدير المسؤول لجريدة النور)

من الهيئة العامة لمشفى طب العيون الجراحي ممثلة بإدارتها وكل الأطباء العاملين والكادر التمريضي والأقسام المساعدة والعاملين فيها، بالشكر والتقدير للخدمات الطبية والمعاملة الإنسانية التي يقدمونها للمرضى والمراجعين المحتاجين للعلاج في هذا الصرح الطبي العظيم.

والشكر موصول إلى

الدكتور الجراح عزت صايل حيدر
والفريق الطبي المساعد

على العمل الجراحي الناجح الذي أجري له.

● تتمات ● تتمات ● تتمات ● تتمات ● تتمات ● تتمات ● تتمات

الرئيس الأسد: اتفاق إدلب مؤقت

تتمة المنشور ص ١

من هستيريا غربية قبل معركة إدلب، نابع من كونها تشكل أمراً مصيرياً بالنسبة لهم، لأن انتصار السوريين فيها سيؤدي إلى فشل خططهم إزاء سورية، وعودتها أخطر مما كانت عليه في وجه مشروعهم في المنطقة، إن كان بشكل (صفقة قرن) أو غيرها من الأشكال، وستشكل نموذجاً جديداً لدول المنطقة والعالم.

وحول الاتفاق بشأن إدلب، أشار الرئيس الأسد إلى أن موقف الدولة السورية واضح بأن هذه المحافظة وغيرها من الأراضي السورية المتبقية تحت سيطرة الإرهابيين، ستعود إلى كنف الدولة السورية، وأن الاتفاق هو إجراء مؤقت حققت الدولة من خلاله العديد من المكاسب الميدانية وفي مقدمتها حقن الدماء.

وأكد الرئيس الأسد أنه كلما تقدمنا باتجاه الانتصار سيعمل أعداء سورية على تكثيف محاولاتهم لإستنزافها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وبالتالي سنكون أمام تحديات داخلية لا تقل خطورة عن الحرب.

وفي هذا الإطار اعتبر الرئيس الأسد أننا مقبلون على معركة إعادة تأهيل بعض الشرائح التي كانت حاضنة للفوضى والإرهاب، لكي لا تكون هذه الشرائح ثغرة يتم استهداف سورية في المستقبل من خلالها.

وشدد الرئيس الأسد على أن البعث يجب أن يلعب دوراً في معالجة تبعات الحرب، وأن يقوم بدراسة عميقة للمجتمع والتحولات التي طرأت عليه، وطرح تصوراته وتعريفاته حول العناوين والمصطلحات التي يتم تداولها في المجتمع، والقيام بعملية مواءمة بين الخطاب والممارسة وبين العقيدة كي يكون قادراً على الوصول إلى مختلف شرائح المجتمع.

وتابعت اللجنة المركزية اجتماعاتها يوم الاثنين وسط توقعات وآمال بأن تسفر هذه الاجتماعات عن توجهات تلبي مطالب المواطنين السوريين على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتستجيب لمتطلبات المرحلة الراهنة وأخطارها، خصوصاً مع اقتراب تطهير الأرض السورية من الإرهابيين، وانفتاح الآفاق أمام بدء العملية السياسية.

حول مرسوم وزارة الأوقاف خطوة إلى الأمام.. خطوات إلى الوراء!

تتمة المنشور ص ١

والنشر تحت عنوان (الرقابة على البرامج الخاصة بالعمل الديني في وسائل الإعلام كافة، وكذلك المطبوعات الدينية) (المادة ٢/ف) ومن المفهوم أن أي قول أو كتابة أو نشر يمكن أن يفسَّر أنه يمسّ بشكل ما الجانب الديني، مما يتيح للوزارة أن تكون وصيّة على أي نشاط أو فعالية من هذا النوع.

ونص المرسوم على أنه (يكون لمجلس الأوقاف الأعلى موازنة خاصة مستقلة عن الموازنة العامة للدولة تصدر بقرار من الوزير ...) (المادة ٥٥). و(الوزير هو عاقد النفقة وآمر التصفية والصرف للأموال الموضوعة في موازنة مجلس الأوقاف الأعلى) (المادة ٥٦). و(يصدر النظام المالي لمجلس الأوقاف الأعلى بقرار من الوزير) (المادة ٥٧)؟

كما أفسح للوزارة الحق بفرض ضريبة على المواطنين تحت مسمى (تعزيز دور فريضة الزكاة والعمل على تطوير سبل وآليات تحصيلها وتوزيعها..) (المادة ٢/م).

وقد مُنح المكلفون بالعمل الديني سواء أكانوا من العاملين أو الموظفين في الدولة امتيازات خاصة لا يتقاضاها أي من الموظفين الآخرين في الدولة، أكانوا متفرغين لهذا العمل أو موظفين في وظائف أخرى في الدولة أو حتى متقاعدين، بقرار من الوزير (مع إمكانية الجمع بين الراتب الوظيفي أو التقاعدي وما يمكن أن يتقاضاه من الوزارة)، وذلك دون أي أسس أو قواعد لمنح هذه (البدلات النقدية) لهم، (المادة ٢٧)، مع (إعفائهم من أية اقتطاعات ضريبية أياً كان نوعها) (المادة (٢٩).

كل ذلك على نحو يتناقض مع ما نصت عليه المادة ٣٣ من الدستور: (المواطنون متساوون في الحقوق والواجبات لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة) وأن (الدولة تكفل مبدأ تكافؤ الفرص بين المواطنين).

فضلاً عن عدم إخضاع هؤلاء العاملين لقوانين العمل والتأمينات الاجتماعية التي يخضع لها سائر العاملين في الدولة.

كما استثنت المادة ١٢ من هذا المرسوم المكلفين بالعمل الديني من شرط التمتع بالجنسية العربية السورية (لضرورات المصلحة العامة)!

وجاء في المرسوم أنه (تحدث المدارس الشرعية الإسلامية للمرحلة ما قبل الجامعية بقرار من الوزير، وتدرس فيها المناهج الشرعية المعتمدة من الوزارة، إلى جانب المناهج الكونية المعتمدة من وزارة التربية) (المادة ٣٨). وهذه المدارس مستقلة بمناهجها وموازنتها وإدارتها والإشراف عليها عن وزارة التربية والتعليم (المواد ٣٨.. ٥) علماً أن شهادتي الإعدادية الشرعية والثانوية الشرعية الممنوحة منها تعد معادلة لشهادتي التعليم الأساسي والثانوية العامة (المادة ٤٥).

من المفهوم أن مجتمعنا السوري هو مجتمع متعدد الديانات، معتدل ومتسامح، وصحيح أن المسلمين يشكلون الأكثرية إلا أن التدخل في حياة كل مواطن سوري وعقيدته يتناقض مع المبادئ المنصوص عليها في الدستور السوري، ومع المبدأ المتعارف عليه: (الدين لله والوطن للجميع).

إننا نطالب أن يعاد النظر بهذا المرسوم، من خلال الوسائل التشريعية النافذة، على أسس المواطنة وبما يحقق المساواة بين جميع أبناء الوطن الواحد، بغضّ النظر عن الدين أو الجنس أو الأصل، ويفسح المجال لبناء الدولة المدنية الديمقراطية العلمانية حقاً وفعلاً، آملين في الوقت ذاته أن لا يستغل البعض هذا المرسوم لإثارة أي نعرات من أي نوع كان، في الوقت الذي نحن أحوج ما نكون فيه إلى تعزيز اللحمة الوطنية.

النواب الشيوعيون في مجلس الشعب

تتمة المنشور ص ١

كل أصقاع المعمورة.

إننا في الحزب الشيوعي السوري الموحد، نرى أنه لا بد من تعزيز انتصاراتنا أكثر بملاقاة المعاناة المعيشية اليومية لجماهير شعبنا.

وكلنا ثقة بأن النصر دائماً حليف الشعوب في نضالها العادل.

الرحمة لشهدائنا، والشفاء العاجل لجرحانا، وكل عام وأنتم وجيشنا وشعبنا ورئيسنا بألف خير!

احتفاء بذكرى حرب تشرين التحريرية...

تتمة المنشور ص ١

وأكد المشاركون أن سورية اليوم أكثر إصراراً وتصميماً على تحرير كامل أراضيها المحتلة وطرد الصهاينة الغزاة من الجولان المحتل، وأننا سنحتفل معاً على أرض مجدل شمس أرض البطولات والتضحيات التي وحدت العرب في حرب تشرين التحريرية، واليوم تجمع كل أطياف الشعب السوري.

وفي كلمة ألقاها عبر مكبرات الصوت من أرض الجولان المحتل أكد الشيخ طاهر أبو صالح أن سورية منتصرة على الصهاينة والإرهاب العالمي الذي تتعرض له، مجدداً ثقة الجولانيين بجيشهم وقائدهم وعزمهم مواصلة النضال حتى تحرير الجولان كاملاً.

وأكد عميد الأسرى السوريين والعرب في سجون الاحتلال الأسير صدقي سليمان المقت في رسالة وجهها للمشاركين تلاها شقيقه الأسير المحرر بشر المقت مواصلة النضال ومقارعة المحتل حتى التحرير.

وتوجه عميد الأسرى بالتحية لأبطال الجيش العربي السوري الذين حافظوا على سيادة الوطن ووحدته وخاضوا أعظم معارك العزة والنصر والفخر بوجه مجرمي العالم ومرتزقته وداعميهم.

الذكرى الـ ٤٥ للمنعطف.. تشرين.. يوم سقط الوهم

تتمة المنشور ص ١

اليوم، وجيشنا الباسل يضع الخاتمة للغزو الإرهابي الفاشي، الذي دعمته القوى الدولية المعادية للشعوب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية.

فبالاستناد إلى دعم هذه الكتلة الشعبية، استطاع الجيش السوري أن يصمد، لا في وجه الإرهابيين ومساندهم فقط، بل أن يبدأ باقتلاعهم من جميع المناطق التي سيطروا عليها، فاتحاً الآفاق أمام العملية السياسية، في إطار جهود دولية لإنهاء الأزمة السورية بالطرق السياسية.

ومثلما أدّت العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية دورها البارز في النتائج التي أسفرت عنها حرب تشرين التحريرية، سيكون لهذه العوامل أهمية مماثلة في المنعطف الكبير، الذي يمثله اليوم النصر النهائي على الإرهابيين، والحفاظ على وحدة سورية أرضاً وشعباً، والتوافق على رسم ملامح سورية المستقبل.

التمسك بالتعددية السياسية والاقتصادية، بالاستناد إلى دستور ديمقراطي علماني، وعودة النسيج الاجتماعي إلى التلاحم عبر مصالحات وطنية كبرى، ووضع خطط حكومية لإعادة الإعمار في إطار عملية تنمية اقتصادية واجتماعية شاملة، ووضع حد نهائي للفساد الذي أرهق الوطن والمواطنين، والعمل لعودة المهجّرين والمهاجرين، كل ذلك يشكل عوامل أساسية، ستؤدي إلى النجاح في اجتياز هذا المنعطف الكبير الذي يعدّ الأخطر في تاريخنا المعاصر.

ومثلما نجح شعبنا وجيشنا في إسقاط الوهم في حرب تشرين التحريرية، فإنهما سيرفعان قريباً علامة النصر النهائي على الإرهابيين، وعلى الوجود العسكري الأمريكي والتركي على الأرض السورية.

بوتين: لا يلوح في الأفق أي عمليات عسكرية واسعة في إدلب

تتمة المنشور ص ١

وشدد الرئيس الروسي على أنه (لولا التنسيق مع السلطات السورية والدعم من قبل إيران، لكانت هذه الاتفاقات مستحيلة)، مضيفاً: (إننا متضامنون في عملنا الذي يتقدم باتجاه صحيح، ولديّ كل أساس للاعتقاد أننا سنحقق جميع الأهداف التي رسمناها). ولفت بوتين إلى أن (هذا يعني أنه لا يلوح في الأفق تنفيذ أي عمليات عسكرية واسعة النطاق هناك)، وتابع: (لا حاجة إليها ويجب حالياً تحقيق أهداف معينة، وتلك الآليات التي اخترناها، تعمل بفاعلية). وقال بوتين: (لا أعلم كيف ستتصرف أوربا لمنح مساعدات للسوريين، لكنني أعتقد أن من الضروري عدم تسييس هذا العمل، ولا يمكن تفريق السكان السوريين على أساس الأراضي التي يقيمون فيها، ما هو الفرق من حيث النهج الإنساني ما إذا كان الناس يعيشون في الأراضي الخاضعة للسلطات الرسمية بقيادة الرئيس الأسد، أو تلك التي تسيطر عليها المعارضة غير النظامية والجماعات المسلحة؟ هذا أولاً). وتابع: (أما الأمر الثاني فيكمن في أن لأوربا مصلحة كبيرة في عودة اللاجئين إلى وطنهم، ووفق حساباتنا شهد أقل من العام الماضي عودة حوالي ١٥٠ ألف شخص إلى بيوتهم، لكن هذا العدد كان سيكون أكبر بكثير لو قمنا بتقديم مساعدات مشتركة أساسية، مثل إعادة إصلاح شبكة المجاري وإمداد المياه والكهرباء والبنية التحتية الخاصة بنقل المواد الغذائية والأدوية وخلق الظروف لكي يتمكن الناس من عيش الحياة الطبيعية والعودة إلى منازلهم. أليست أوروبا مهتمة بذلك)؟

ودعا بوتين الدول الأوربية إلى (العمل معاً على حل هذه القضايا المهمة جداً بالنسبة لكثير من الناس والتي لا تتطلب إنفاقاً مالياً كبيراً). وفي بداية المؤتمر الصحفي، ذكر بوتين أن قضية سورية كانت من بين المواضيع التي تطرق إليها مع كورتز خلال محادثاتهما. وقال الرئيس الروسي في هذا السياق: (إننا نرى آفاقاً لتكثيف العملية السياسية هناك على أساس القرار رقم ٢٢٥٤ الصادر عن مجلس الأمن الدولي، والاتفاقات التي تم التوصل إليها في إطار عمليات أستانا).

واعتبر بوتين أن (ذلك سيمكّن من تعزيز التوجهات الإيجابية على الأرض وخلق الظروف الملائمة لاستمرار عملية إعادة الحياة السلمية وعودة اللاجئين إلى منازلهم الأصلية).

وفي غضون ذلك أشار بوتين، عقب لقائه كورتز، إلى (استعداد النمسا للانضمام إلى العمليات الإنسانية التي تدعم سكان سورية). وشدد بوتين على (ضرورة أن يجري تقديم كل أنواع المساعدة عبر القنوات، التي تم تنسيقها مع السلطات الشرعية (في سورية)، ويشمل كل المناطق المتضررة بسبب الاعتداءات الإرهابية والحرب الأهلية).

كورتز: يجب سحب جميع القوات الأجنبية من سورية

وشدد مستشار النمسا، في المؤتمر الصحفي، على ضرورة انسحاب كل القوات الأجنبية من أراضي سورية. وأشار كورتز في هذا السياق إلى أن (روسيا تتحمل مسؤولية كبيرة) في حل الأزمة في سورية، وقال، مخاطباً الرئيس الروسي: (تابعت تصريحاتكم اليوم، يا سيد بوتين، حول سورية، وآمل في أن يتم التمكن من سحب كل القوات الأجنبية من سورية، وبالدرجة الأولى الإيرانية، لإنهاء الحرب في سورية).

www.alnnour.com
e-mail:annourscs@gmail.com

النور

أسست عام ١٩٥٥

8

السنة الثامنة عشرة ـ العدد ٨٣٣ ـ الأربعاء ١٠ تشرين الأول ٢٠١٨

ANNOUR - Wednesday 10 October 2018 - No. 833

أمسية موسيقية لعازف الترومبيت العالمي نزار عمران

■ مزجت الأمسية الموسيقية التي أحياها عازف الترومبيت العالمي نزار عمران يوم السبت ٢٠١٨/١٠/٦،بين آلتي الترومبيت والغيتار، وطغى عليها الجانب الشرقي بنكهة صوفية وذلك على خشبة مسرح الدراما بدار الأسد للثقافة والفنون في دمشق.

وتميزت الأمسية التي شارك فيها عازف الغيتار جورج مالك وجاءت ضمن ثالث أيام مهرجان العزف المنفرد بنسخته الرابعة، وتضمن البرنامج أيضاً عزف مقطوعات موسيقية من تأليف عمران وهي (عتب محبة، وفي البحث عنه، وبس تجي بتشوف) كما عزف من مؤلفات إلياس الرحباني مقطوعة (كان عنا طاحون، ويا فجر لما تطلّ) لمصطفى كردية.

وعازف الترومبيت العالمي نزار عمران درس في المعهد العالي للموسيقا اختصاص ترومبيت آلة أساسية وعود كآلة مرافقة، وهو مدرس رئيسي لآلة الترومبيت في المعهد منذ عام ٢٠١٠ وعضو في الفرقة السيمفونية الوطنية السورية وعضو وعازف منفرد في العديد من الفرق المحلية والعربية.

وشارك في تسجيل العديد من شارات المسلسلات وموسيقا أفلام عربية وعالمية مع المؤلفين زياد الرحباني وإياد الريماوي ومعن خليفة وغيرهم، وكان له العديد من المشاركات في المهرجانات العربية والدولية، ومنها افتتاحه العام الماضي مهرجان (بروزيل) للموسيقا الشعبية والجاز في بلجيكا.

علاج جديد لسمّ الأفاعي

■ تعتبر أفعى المامبا السوداء إحدى أخطر الأفاعي القاتلة في العالم على نطاق واسع، ولكن العلماء تمكنوا من علاج الحالات المصابة بسمها القاتل باستخدام مواد مستخلصة من عينات دم بشرية.

وقرر الأستاذ أندرياس هوجارد لاوستسين، وفريقه البحثي الدولي، أن يبدؤوا في دراسة المامبا السوداء القاتلة التي تنتج سماً قوياً يؤثر في الجهاز العصبي البشري، ويمكن أن تقتل فريستها في غضون ساعات.

وعلى الرغم من أنه يمكن علاج السم بمضادات السموم، إلا أن المواد المستخدمة حالياً عادة ما تكون مشتقة من دم الخيول، التي سبق أن ضُخّمت عن طريق حقنها بكميات صغيرة من السم.

وينتج هذا الأمر الأجسام المضادة في الدم، ويمكن استخراجها واستخدامها لمكافحة آثار السم لدى البشر.

وعلى الرغم من فعالية هذه العلاجات، إلا أنها مكلفة وتأتي مع مجموعة متنوعة من الآثار الجانبية، ومن ذلك ما يسمى بـ(مرض المصل)، وردود الفعل التحسسية.

وتمكن البروفيسور لاوستسين، الذي يعمل في الجامعة التقنية بالدنمارك، من تحقيق نتائج أفضل باستخدام الأجسام المضادة البشرية.

فبدلا من حقن البشر بسم الثعابين لإنتاج الأجسام المضادة الصحيحة، وهي تقنية حاول تطبيقها هواة مختلفون، طور العلماء بديلاً يعتمد على المختبر.

وبعد مسح (مكتبة) تحتوي على جينات من أجسام مضادة بشرية جمعت من خلايا الدم، قاموا بفحص الأجسام المضادة القادرة على مكافحة سموم أفعى المامبا.

وبمجرد تحديد الجينات الصحيحة، أدخلها العلماء في خلايا تحولت إلى عوامل صغيرة لتخرج كميات كبيرة من الأجسام المضادة.

وقال البروفيسور لاوستسين الذي نشر نتائج الدراسة: (إن القفزة الهامة في نتائجنا تمثلت في استخدام طريقة التكنولوجيا الحيوية للعثور على الأجسام المضادة البشرية، ثم نشرها في المختبر لتمكيننا من استخدام علاج المامبا السوداء التجريبي).

ونم تقديم الأجسام المضادة التي نتجت عن هذه العملية في كوكتيل أعطي للفئران، وهو علاج أوقف التأثيرات السمية العصبية لسم أفعى المامبا. وقال الباحثون إنه على الرغم من أن النتائج واعدة، إلا أنه من المرجح أن يستغرق الأمر سنوات قبل تطبيقها على نطاق واسع لعلاج لدغات الثعابين.

وقال البروفيسور لاوستسين: (قبل إجراء الاختبارات السريرية على البشر، سيكون من المفيد تطوير المزيد من الأجسام المضادة للسموم، لمنحها طيفاً أوسع ضد أنواع عديدة من سم الأفعى).

وتابع قائلا: (نأمل أيضاً أن يمهد هذا الأمر الطريق لتقديم العلاج للعديد من ضحايا لدغات الثعابين، الذين يعيشون في المناطق الفقيرة في العالم النامي، ممن أهملوا لسنوات عديدة).

«إكسومون».. قمر جديد في الفضاء

■ اكتشف العلماء لأول مرة قمراً يدور حول كوكب يقع خارج المجموعة الشمسية، بات يطلق عليه اسم (إكسومون).

صحيح أن علماء الفضاء عثروا سابقاً على آلاف الكواكب التي تقع خارج المجموعة الشمسية، إلا أنها المرة الأولى التي يكتشفون فيها قمراً يدور حول أحدها.

وفي تعليقه على الاكتشاف، صرح أحد المكتشفين وأستاذ علم الفلك في جامعة كولومبيا الأمريكية، ديفيد كيبينغ، قائلاً: (الاكتشاف الجديد يوفر لنا دلائل ومعلومات هامة عن آلية تطور أنظمة الكواكب، وكذلك يساعد العلماء في إعادة تقييم النظريات التي تفسر تشكل الأقمار حول الكواكب).

وجرى اكتشاف القمر عندما قام العلماء بمعاينة بيانات أكثر من ٢٨٤ كوكباً خارج المجموعة الشمسية، رصدت بوساطة تلسكوب كيبلر الفضائي، في محاولة لدراسة مداراتها ورصد أي ظاهرة غير نمطية فيها.

وخلال البحث والتقصي، جذب انتباه العلماء أحد هذه الكواكب ويسمى (كيبلر ب ١٦٢٥)، نتيجة لوجود العديد من التذبذبات في منحناه الضوئي.

وعند مراقبة (كيبلر ب ١٦٢٥) بشكل أدق، لاحظ الباحثون وجود هالة أخرى من الضوء تشع حول مداره، وهي غالباً ما تدل على قمر يرافق الكوكب على الدوام ولا يتركه أبداً.

كما يعتقد العلماء أن القمر المكتشف يبعد مسافة ٣ ملايين كيلومتر عن كوكبه، وحجمه يقارب حجم كوكب المشتري في مجموعتنا الشمسية.

ولم تنته الدراسة كلياً بعد، وما يزال العلماء في طور جمع معلومات إضافية عن الاكتشاف الجديد، بغرض التأكد بشكل أكبر من الوجود الفعلي لهذا القمر الخارجي.

العنب يواجه سرطان الرئة

اكتشف علماء جامعة جنيف السويسرية، أن قشر حبات العنب يحتوي على مضاد حيوي طبيعي بخصائص فريدة، يمكنه منع تطور سرطان الرئة المميت. وأشار الباحثون إلى أن الإقلاع عن التدخين يعتبر حالياً الوسيلة الفعالة للوقاية من سرطان الرئة، ويقولون إنه (إضافة إلى الإقلاع عن التدخين والمواد التي تحتويها السكائر الاعتيادية، يمكن أن تكون مادة ريسفيراتول (وهو مضاد حيوي طبيعي يستخلص من قشور حبات العنب) فعالة في الوقاية من المرض). وقد أثبت العلماء أنه عند إدخال المادة عبر الأنف، فإنها تكون قادرة على المساعدة في علاج سرطان الرئة. وقد لاحظ الباحثون هذه الخاصية عند إجراء تجارب على فئران مخبرية وضعت في بيئة تسبب تطور سرطان الرئة، ذلك أن ٤٥٪ من الفئران التي حصلت على مادة ريسفيراتول عبر الأنف، ظهرت لديها خلايا سرطانية قليلة وذات حجم صغير، مقارنة بالفئران التي لم تحصل على المادة.

وتفيد إحصائيات منظمة الصحة العالمية، بأن سرطان الرئة هو أخطر أنواع السرطان، ويسبب أكبر عدد من الوفيات، يليه سرطان الكبد. لذلك، ينوي الباحثون وضع خوارزمية تسمح بتحديد المرضى الذين تكون معالجتهم بمادة ريسفيراتول فعالة.

يذكر أن دراسات سابقة أكدت فعالية ريسفيراتول في علاج سرطان المعدة والأمعاء والوقاية منه.

الأديب شاهر عبيد شهيداً

■ أقام فرع اتحاد الكتاب العرب في السويداء يوم الأربعاء ٢٠١٨/٠٩/٠٥ أربعينية للشهيد الرفيق شاهر عبيد، وذلك تحت رعاية الدكتور نضال الصالح رئيس اتحاد الكتاب العرب وقد شارك في الحضور أعضاء المكتب التنفيذي للاتحاد السادة الأرقم الزعبي، وعلي ذياب، ومحمد حديفي، وجمهور غفير من أبناء المحافظة. وقد ألقى الرفيق سيف الدين القنطار كلمة أبّن فيها الرفيق الشهيد شاهر عبيد قائلاً:

دخل إلى غرفة المدرسين في ثانوية شكيب أرسلان لأول مرة وجلس قربي، وحين نظرت إليه بعين متسائلة، قال: أنا شاهر عبيد مدرس اللغة الإنجليزية الجديد، تأملته ملياً ولفت انتباهي قوامه الرشيق الذي يميل للقصر، ووجهه الأنيس الجميل، وسرعان ما توطدت العلاقة بيننا، كنت أحرص على الجلوس قربه، وكان يبادلني الحرص ذاته، واكتشفت أنه متواضع إلى أبعد حدود التواضع، أليف إلى أقصى حدود الألفة، يتكلم بصوت هادئ يكاد لا يُسمع، ويتحدث بقليل من الكلام الذي لا ينطق فيه عن الهوى، بل يصدر عن عقل مستنير، ويعبر عن ثقافة رصينة وليدة الاجتهاد، وعن آراء علمية، وفكر تقدمي نقدي.

كانت ثانوية شكيب أرسلان في ثمانينيات القرن الماضي، قبلة الأنظار، يقارنها البعض بثانوية جودت الهاشمي في دمشق، أو ثانوية المأمون في حلب، ولذلك كان كل من يحرص على تعليم أبنائه، وحصولهم على معدلات عالية في الثانوية العامة، يبعث بأبنائه إلى ثانوية أرسلان.

لم يصدق شاهر عبيد أذنيه، وهو يسمع في غرفة المدرسين تلك النخبة من الأساتذة الذين، كما وصفهم، لا يخافون الله، ولا الحكومة، حين يدخلون في معترك سجالات حامية وحوارات صاخبة مخيفة لا تبقي، ولا تذر، ولا ترحم، تتطاير فيها أشلاء معظم الحكومات العربية، لأنها تعج بالتبجح، والفساد، والتمسك المقيت بكرسي الحكم.

قال مرة: (من يسمعكم يظن أن خصوماتكم السياسية ستباعد بينكم، ولكنه يعجب من تلك العلاقات الحميمة، وأواصر المودة التي تسود بينكم).

ومرت الأيام، وجرت مياه كثيرة تحت الجسر، وبدأ شاهر يشكو، كان يواجه مصاعب جادة في التدريس، أكد لي أن الطلاب لا يحبون تعلم اللغة الأجنبية، لا يقيمون لها وزناً كالرياضيات واللغة العربية مثلاً، يتعمدون الفوضى، يتهارشون أثناء الدرس، وألقى باللائمة على وزير التربية ساطع الحصري، الذي ألغى بعد الحصول على الاستقلال تعليم اللغة الأجنبية في المرحلة الابتدائية، قائلاً: قادتنا حقدنا على الاستعمار إلى عدم التمييز بين السياسة والثقافة، فحرمنا طلابنا نعمة تعلم اللغات الأجنبية منذ الصغر. وأضاف: أظن أنني لم أخلق لمهنة المتاعب هذه.

وصمم شاهر على ترك التدريس.

ارتحل إلى الكويت. وهناك اتجه بصورة رئيسية صوب الترجمة، ووجد فيها ذاته، أصبح موظفاً في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتي، تعزز دوره من خلال الدأب والمثابرة والسهر، وأتاح له عمله في المجلس الاستمرار في الترجمة على مدى ستة عشر عاماً، ترجم فيها عشرات المقالات، وعدداً من الكتب لعل أهمها كتاب بعنوان (فريدريك نيتشه مولد التراجيديا). وكان يرى في الترجمة فعلاً إبداعياً وثقافة رديفة، وحالة معرفية تعزز التواصل بين الثقافات والحضارات.

كان أبو حيان يعود إلى بلده من حين إلى آخر، وقد أصبح عضواً في اتحاد الكتاب العرب_ جمعية الترجمة، وألقى في هذه القاعة العديد من المحاضرات الأدبية.

وحين ألقى عصا الترحال، وأنهى عمله في الاغتراب، أقام في مدينة السويداء، وقد ابتاع بيتاً (على طريق قنوات)، ثم افتتح مكتبة صغيرة في حي المساكن الخضر الواقع جنوب طريق السويداء - الثعلة، وفي هذه المكتبة القريبة من بيتي كنت حين أذهب لشراء حاجيات البيت من سوق الحي، ألتقي بشاهر فأفرح، نتبادل أطراف الحديث، والشجون المشتركة، نستعيد الماضي الغابر، ونهجو الحاضر البائس. كان أبو حيان يضع على الطاولة أمامه دوماً رقعة شطرنج، وكنت أعرف أنه لاعب شطرنج ماهر، وأعلمني أنه اشترى في هذا الحي الشعبي شقة سكنية في الجوار، استجابة لرغبة زوجته التي تحب العيش قرب أهلها، وتخلى عن السكن في حي الأغنياء.

يوم الأربعاء الخامس والعشرين من تموز سمعت عند الفجر صوت الرصاص، وقرأت على صفحتي خبر التفجيرات الأربعة في مدينة السويداء، وهجوم الدواعش الغادر على سبع قرى، فتوجهت كعادتي إلى المساكن الخضر، ورأيت تجمعاً أمام أحد المحلات التجارية، كانوا يتهامسون وعلمت منهم أن أربعة من الدواعش كانوا في الحي، وقد اغتالوا المعلم الطبيب المتقاعد هندي أبو سعيد، بينما كان في طريقه لشراء خبز أسرته.

أثناء العودة إلى البيت لاحظت أن مكتبة أبي حيان مغلقة، كان شاهر قد استيقظ باكراً، وجرياً على عادته، بدأ يمارس رياضته الصباحية، يدور عشر دورات حول حديقة المساكن، غير أن القتلة كانوا له بالمرصاد، لم يمهلوه ليكمل دوراته العشر، بل صوبوا رصاصهم الغادر إلى جبينه العالي، فأردوه قتيلاً، ورموا به قرب أشجار الياسمين في الحديقة، ومرت الساعات دهراً وعند الظهيرة انتشر خبر استشهاده.

شعار السلام سيبقى أعظم وأسمى شعار، فالحروب عدوة الحياة، ومشعلوها عبر التاريخ هم دواعش الجنس البشري، والأسلحة أسوأ ما صنعته يد الإنسان، ولا بد من أن يشرق فجر تدمّر فيه مصانع السلاح كافة، وتوضع نماذج من منتجاتها في المتاحف كي تعرف الأجيال القادمة أية بربرية اقترفتها قوى الحرب والموت، وهي تحصد أرواح ملايين البشر. كثيراً ما يقال إن العالم تحول إلى قرية صغيرة، وكي يستقيم ذلك لا بد من إلغاء مجلس الأمن بقوامه الجائر، وتحويل هيئة الأمم المتحدة إلى حكومة حقيقية تتمثل فيها جميع الأمم على قدم المساواة، وتسهر هذه الحكومة على سلامة الحياة على كوكبنا الأرضي، وتوزيع خيرات الطبيعة وما كان ينفق في الحروب على سكان هذا الكوكب توزيعاً عادلاً، فينتهي الجوع، والفقر، والبؤس، والمرض من حياة الناس وينعم الجميع بحياة آمنة وعيش كريم.

صباح اليوم التالي في السادس والعشرين من تموز جرى تشييع سبعة شهداء في ساحة سمارة بالسويداء، وكان شاهر عبيد أحدهم، لم أذهب ولم أشارك، فقد كنت كسير الروح، مفعماً بالأسى والغضب، وكل ما فعلته أنني أشرعت نوافذ قلبي وخبأت فيه صورة الأديب الجار والصديق الأليف، والإنسان الطيب الهادئ والمحب أبي حيان شاهر عبيد.

سيف الدين القنطار

من القلب إلى القلب

عماد نداف

عندما أوقفتني الشرطة «مشبوهاً» في حي العمارة!

■ كان ذلك مساءً.. ولم تكن الشمس قد غابت بعد.

كنت قد تناولتُ طعام الغداء، ونمتُ قليلاً، ثم استيقظتُ على فراغ كبير، فلأول مرة أعودُ إلى البيت وأشعرُ أن لا عمل لدي، وسريعاً دفعني الفراغ إلى الذهاب بعيداً في ذاكرتي، فإذا أنا طفل صغير يلعبُ في حارة ضيقة، وتذكرتُ أنها حارتنا القديمة في حيّ (السادات) القريب من (العمارة).

ومثل رجل جاءه هاتف سريع، ارتديتُ ثيابي، واتجهتُ إلى هناك، حيث كنتُ أسكنُ مع أهلي في بيت عربي عتيق يجاور مسجد الأقصاب، وتلك المنطقة واحدة من الأحياء الدمشقية التي كانتْ ولازالتْ تنبضُ بحركة دؤوبة، فهي تقع على شارع رئيسي يصل باب توما بشارع الثورة والمرجة مروراً بالعمارة، وكان ذلك الشارع يغصّ بالمحلات التجارية وبحركة الناس وبسيارات تتجمع في كراجات بعض قرى ريف دمشق، إضافة إلى أن الترامواي كان يعبره على سكّتين ذهاباً وإياباً مما يجعل استعصاءات السير كثيرة فيه!

وصلتُ، وكانت الحارة رطبة باردة معتمة، الدخول إليها من ممر ضيق يصلُ الشارع العام بالباب الفرعي للمسجد، وعندما وصلتُ إلى البيت الذي كنا نسكنه وأنا طفل، وجدته مغلقاً وقد رُبط بابه بجنزير، وكأن أصحابه هجروه منذ زمن طويل، وأرادوا أن يسجنوا ذاكرته فيه!

هممتُ بطرق الباب، أمسكتُ بـ(سقّاطة) نحاسية، فرأيت لونها وقد تحول من الأصفر إلى الأسود، ولكني لم أفعل، جذبني شقٌّ في الباب، فقد تآكل جزء من باب البيت الخشبي بحيث صار يمكن أن أشاهد تفاصيل البيت الفارغ من الداخل!

كان ذلك مخيفاً..

ألصقتُ وجهي بالباب، ورحتُ أحدّق عبر الشق في المكان الذي شعرت أن الحياة دبت فيه سريعاً، وكأن الزمن عاد عشرات السنين إلى الوراء. سمعتُ أصواتاً من الداخل، الأصوات حملها الزمن إليّ، وفي داخلي يشتعل شوق إليها: هذا صوت أبي. أعرفه جيداً رغم أنه مات منذ ثلاثين عاماً. وهذا صوت بكائي وأنا طفل. أدقق في شق الباب فأرى أبي يحملني ويضعني واقفاً على المغسلة، يحاول تنظيف وجهي من الأوساخ التي علقت به نتيجة اللعب في الحارة. أنا أبكي، وأبي يتابع تنظيف وجهي.

لاحظتُ أن الدرج الخشبي الذي يصل الطابق الأرضي بالطابق الثاني توهج أمامي وتوالى وقع أقدام أمي وكأنها تنزل عليه، ثم هاهو صوتها تخاطب أبي: كل يوم على هذه الحال لا تُعذّب حالك يا رجلْ، ولد شقي كأنه ينظف الحارة بملابسه كل يوم!

حدّقت في وجه أمي الجميل، كانت مشرقة الوجه، ضاحكة، تغطي شعرها بإيشارب أزرق بطابق لون عينيها، نزلتْ الدرج الخشبي وأخذتني من بين يدي أبي، وأنا أواصلُ الطور الأخير من البكاء احتجاجاً على تنظيف وجهي. قالت أمي:

– تعالْ.. تعالْ.. هل تبكي لأنك أصبحت نظيفاً؟

ثم مسحت أمي وجهي بمنشفة، وسألت تحتج:

– ماذا تفعل في الحارة؟ هل تتدحرج على أرضها؟!

اشتعلتْ روحي بالرغبة في الدخول إلى البيت، هززتُ الباب. كان مغلقاً بإحكام، ضربته بكتفي، فترامت قرقعته وكأنه يصرخ مستنجداً. وكان صوت أبي يأتيني من الداخل يحادث أمي عن العناية بي، وكانت أمي تحدّثه عني وعن شيطنتي والفوضى التي أحدثها في البيت، وتردد: متى يدخل المدرسة ويصبح أفضل؟!

ضربت الباب بكتفي من جديد، وأنا أقرر أنه ينبغي أن أحكي مع أمي لأقول لها إنني صرت رجلا مهذباً ونظيفاً.. أو أقبل أبي وأسأله عن صحته وعن حقيقة حادث السير الذي أودى بحياته. لكن الباب لم يُفتح. بل سمعت صوتاً من خلفي:

– من أنت؟!

ثم أمسكت يدان قويتان بذراعي، وشدّني صاحبهما بعنف، وهو ينادي:

– يا أهل الحارة.. حرامي.. أمسكت حرامي!

تجمّع الناس، فيما تعالى أذان المغرب في جامع الأقصاب. دافعت عن نفسي بكلمات مبهمة، لكن أيادي السكان أمسكت بي جيداً، وأخذوني (مشبوهاً) إلى مخفر الشرطة بتهمة سرقة لحظة من ذكريات بيتنا القديم!

imadnaddaf@hotmail.com

(نُشرت هذه الزاوية في موقع بوابة الشرق أوسط الجديدة)